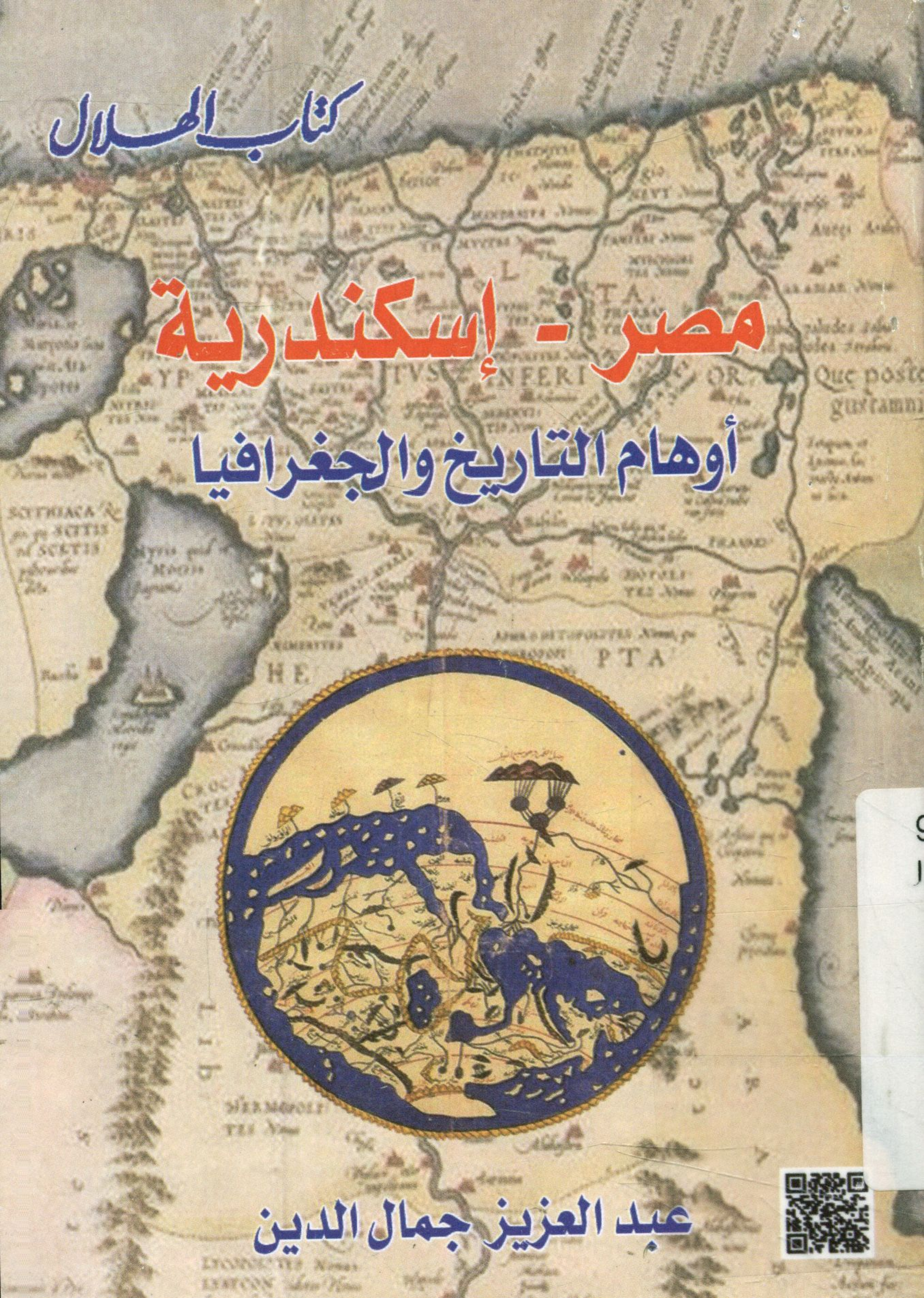


كتاب الهلال

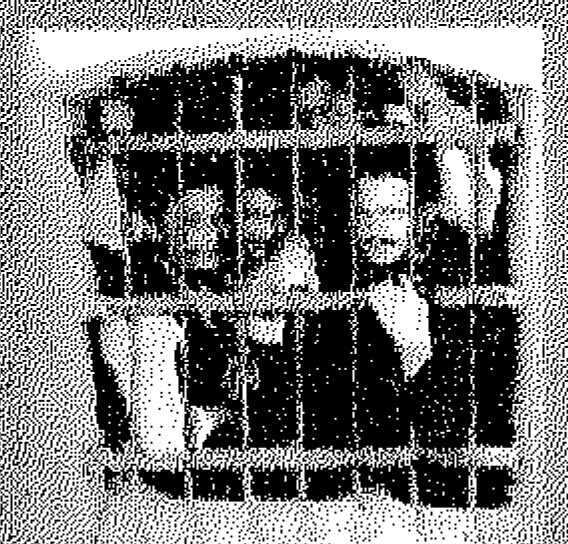
مصر - إسكندرية

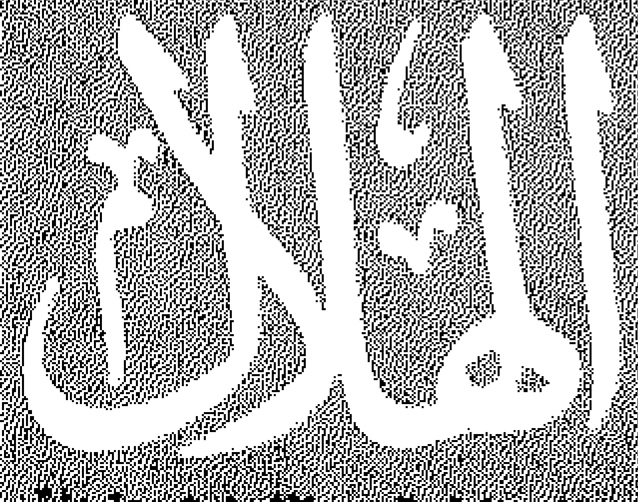
أوهام التاريخ والجغرافيا

عبد العزيز جمال الدين

مجلة الهلال تصدر ١ يناير ٢٠١٥

معارك زكي مبارك الأدبية





أرستقراطية
فرنسية
في صحراء سيناء

يناير ٢٠١٥ - الثمن ٥ جنيهات

ناظم حكمت .. شاعر الحرية بين السجن والمنفى

يناير .. أربع سنوات من الثورة والثورة المضادة

أحمد يوسف
خالد الغريبي
لؤي عبد الإله
مصطفى نور الدين

بدر الدين عرودكي
خليل كلفت
محمود الحلواني

سلامة كيلة
طه حسين
محمود قرني
هشام قاسم



سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
غالي محمد

رئيس التحرير
سعد القرش

مدير التحرير
أحمد شامخ

المستشار الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير
صلاح زبادي

مستشار التحرير
محمد رضوان

الإدارة

القاهرة: ١٦ شارع محمد عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧خطوط).
المكاتبات: ص.ب: ٦١ العتبة. القاهرة. الرقم البريدي ١١٥١١
. تلغرافيا: المصور. القاهرة
ج. م. ع.
تلكس:
hilal u n ٩٢٧٠٣ Telex
فاكس: FAX: ٣٦٢٥٤٦٩

تصميم الغلاف: محمود الشيخ

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة -
لبنان ٨٠٠٠ ليرة -
السعودية ١٢ ريالا-
البحرين ١,٢ دينار-
قطر ١٢ ريالا -
الإمارات ١٢ درهما -
اليمن ٤٠٠ ريال -
فلسطين ٢دولار

الاشتراكات

قيمة الإشتراك السنوى ٩٦,٠٠جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوربا وأسيا وأفريقيا ٤٥ دولاراً - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - باقى دول العالم ٧٥ دولاراً

القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الإشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الإصدار الأول/ يونيو ١٩٥١

البريد الإلكتروني: helalmag@yahoo.com

طبع هذا العدد بأحبار باكين



رقم الإيداع
٢٠١٤/٢٥٤٣٩
I. S. B. N
978 - 977 -07 - 1679-3

مصر - إسكندرية
أوهام التاريخ والجغرافيا

عبدالعزيز جمال الدين

دار الهلال

قد جمعت هذه الحكايات
فى قالبها العجائبى ثم
أردفتها بما يكشف عنه
العلم الحديث من حقائق .

عبدالعزيز جمال الدين

مقدمة

مخايلات للعلوم أم أوهام للمتعة

لقد تخيل المصرى فى عقيدته أن فوضى الطبيعة تمثل له عنصر الشر الذى يجب عليه قهره، فبنى مشروع نهضته منذ القدم على العمل من أجل قهر الشر وتقديس الخير وذلك باستئناس البشر «من غير المصريين» والحيوان والنبات، وكذلك النيل باعتباره أهم عناصر الطبيعة المتمردة فى بلاده، فى نفس الوقت الذى كان يحاصر فيه العناصر الشريرة ليروضها ويطوعها لصالحه.

ومن معنى العمل فى أرض مصر استحق المصرى نتاج عمله، وتمت محاسبته على هذا الأساس فى الدنيا والآخرة. ولأن الآخرة مفهوم غير مادى صنعه الخيال من أجل إنجاز تقدم الوطن، قد يختلف تصوره من شخص لآخر، جاء الفن المصرى ليعطيه أبعادا أكثر رقياً ودقة (انظر كمثال نقوش المعابد وبرديات الخروج للنهار المسماة خطأ بكتب الموتى). من هذا

الخيال الفنى جاءت كل التصورات فى العقائد التالية للعقيدة المصرية عن الآخرة والحساب والجنة، دون أن تمتلك هذه العقائد الأساس المادى والأخلاقى والفكرى للمشروع الحضارى المصرى الشامل والقائم على تقديس العمل، خاصة حول النيل وتعمير الصحارى والمستنقعات من أجل طرد الشر وأهله المتمثل فى ست وأتباعه.

هكذا يمكننا القول إن المصريين هم الذين ابتدعوا الخيال الفنى من أجل تحقيق مشروعهم الحضارى والساعى إلى عمار وتعمير وطنهم مصر.

وعندما شاهدت الشعوب المحيطة بمصر وزائريها وحتى غاصبيها الإنجازات الفنية المعجزة للحضارة المصرية، إلى جانب إنجاز الثورة الزراعية والدولة الأولى فى التاريخ وابتداع اللغة والكتابة وتشييد الأهرامات والمعابد، لم يكن أمامهم إلا أن ينبهروا بها ويستعيروها، دون أن يدركوا أساس قيامها (العمل)

والهدف الحقيقى منها (التعمير). ومن هنا جاء وصفهم لها فى عقائدهم دون تفسيرها واعتبروا إنجازاتها من أعمال السحر التى لا يمكن تفسيرها أو إدراكها.

ولكن يجب أن ندرك جيداً الفارق بين الخيال الفنى والسحر (الوهم).

لقد نشأت هذه الأوهام فى ظل عصر كانت ثقافته ماتزال تدور حول الكشف عن حجر الفلاسفة وإكسير الحياة، وكانت الجغرافيا وقتها تسمى "عجايب البلدان".

واستمر هذا الميل حتى أيام ماركوبولو الذى ألف "كتاب العجايب"، وكانت ترسم على خرائط وقتها الحيوانات الخرافية، ناهيك عن أخطائها فى تحديد مواقع المدن والجبال والبحار والأنهار خاصة نهر النيل.

وعلينا أن نفرق بين الخيال فى عبارات "خطوط الطول" و"دوائر العرض" و"خط طول جرينتش" وبين الوهم عند ذكر الصخرة المعلقة بين الأرض والسماء فى القدس، أو ذكر بلاد يأجوج ومأجوج، أو وضع بلاد الأندلس فى صحارى شمال إفريقيا.

فالخيال يعتبر من الأمور الخلاقة المفيدة علمياً بالرغم من أنه لا يوجد له أى وجود مادى على سطح الكرة الأرضية. وعلى هذا المنوال من الخيال جاءت المعتقدات المصرية حول العالم والإنسان، فالتصور الأساسى فيها أن الحياة قد ظهرت من ماء المحيط الأزلى (وهذا رغم أن خياله لا يبعد عن الكشوف العلمية الحديثة) وقد طور الكهنة العلماء فى جامعات "أون" و"منف" و"أشمون" هذه الخيالات العلمية بأشكال مختلفة، وبالرغم من تعدد تصوراتها فى خلق الكون والعالم إلا أنه كان ثمة مشترك عام يتمثل فى البصمة القوية لنهر النيل وواديه

والشمس، وهو ما كان الفلاح المصرى يرتبط بهم أشد الارتباط، ويشكل منهم عقيدته الأوزيرية التى تقوم على ثالوث أوزير مجسداً لماء النيل المقدس وزوجته إيزى والابن حور ممثلين للخير، وست، شقيق أوزير، ممثلا للشر ومجسداً للمستنقعات الموحشة وللصحارى الجافة التى تحاول دوماً الطغيان برمالها على الأرض المزروعة بيد المصريين أتباع أوزير، والصراع بين الخير والشر يتم بيد المصريين كتابعين لأوزير عن طريق تعمير الصحارى وواحاتها وصد زحف الرمال الشيطانية، وتجفيف منابع الشر فى المستنقعات خاصة فى شمال الدلتا.

هكذا عن طريق العمل المقدس (فالعمل عبادة) يتم القضاء على ست وأتباعه بتعمير الصحارى والمستنقعات. وهكذا تتحول المخايلات الفنية للعقيدة المصرية إلى إنجازات مادية على أرض الوطن المقدس مصر بالعمل.

مخرج النيل

يقال أن رجلاً خرج إلى أرض مصر فأقام بها سنين، فلما رأى عجايب نيلها وما يأتى به جعل لله نذراً ألا يفارق ساحله حتى يرى منتهاه أوينظر من أين مخرجه أو يموت قبل ذلك، فسار عليه ثلاثين سنة في العمران ومثلها فى غير العمران، وبعضهم يقول خمس عشرة كذا وخمس عشرة كذا، حتى انتهى إلى بحر أخضر فنظر إلى النيل يشقه مقبلاً فوقف ينظر إلى ذلك فإذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح، فلما رآه استأنس به فسلم عليه فسأل صاحب الشجرة: ما الذى جاء بك؟ قال: جاء بى الذى جاء بك، فلما انتهيت إلى هذا الموضع أوحى الله تعالى إلىَّ أن قف بمكانك حتى يأتيك أمرى، قلت: فأخبرنى أى شيء انتهى إليك من أمر هذا النيل وهل بلغك أن أحداً من بنى آدم يبلغه؟ قال: نعم بلغنى أن رجلاً يبلغه ولا أظنه غيرك فقلت له: كيف الطريق إليه؟ قال: لست أخبرك بشيء حتى تجعل بيننا ما أسألك، قلت:

وما ذاك؟ قال: إذا رجعت وأنا حى أقمت عندى حتى يأتى ما أوحى الله لى أن يتوفانى فتدفننى وتمضى، قلت: لك ذلك علىّ، قال: سر كما أنت سائر فإنه ستأتى دابة ترى أولها ولا ترى آخرها فلا يهولنك أمرها فاركبها فإنها تذهب بك إلى ذلك الجانب من البحر فسر عليه فإنك ستبلغ أرضاً من حديد جبالها وشجرها وجميع ما فيها حديد، فإذا جزتها وقعت فى أرض من فضة جبالها وشجرها وجميع ما فيها فضة، فإذا تجاوزتها وقعت فى أرض من ذهب جميع ما فيها ذهب ففيها ينتهى إليك علم النيل، قال: فودعه ومضى وجرى الأمر على ماذكر له حتى انتهى إلى أرض الذهب فسار فيها حتى انتهى إلى سور من ذهب وعليه قبة لها أربعة أبواب وإذا ماء كالفضة ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر فى القبة ثم يتفرق فى الأبواب وينصب إلى الأرض، فأما ثلثاه فيغيض وأما واحد فيجرى على وجه الأرض وهوالنيل، فشرب منه واستراح ثم حاول أن يصعد

السور فأتاه ملك وقال: قف مكانك فقد انتهى إليك علم ما أردته من علم النيل وهذا الماء الذى تراه ينزل من الجنة وهذه القبة بابها، فقلت: أريد أن أنظر إلى ما فى الجنة، فقال: إنك لن تستطيع دخولها اليوم، قلت: فأى شىء هذا الذى أرى؟ قال: هذا الفلك الذى تدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحا، قلت: أريد أن أركبه فأدور فيه، فقال له الملك: إنك لن تستطيع اليوم ذلك، ثم قال: إنه سيأتيك رزق من الجنة فلا تؤثر عليه شيئاً من الدنيا فإنه لا ينبغى لشىء من الجنة أن يوثر عليه شىء من الدنيا، فبينما هو واقف إذ أنزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة أصناف: صنف كالزبرجد الأخضر وصنف كالياقوت الأحمر وصنف كاللؤلؤ الأبيض، ثم قال: هذا من حصرم الجنة ليس من يانع عنبها فارجع فقد انتهى إليك علم النيل، فرجع حتى انتهى إلى الدابة فركبها فلما أهوت الشمس إلى الغروب قذفت به إلى جانب البحر الآخر فأقبل حتى

انتهى إلى صاحب الشجرة فوجده قد مات فى يومه ذلك فدفنه وأقام على قبره، فلما كان فى اليوم الثالث أقبل شيخ كبير كأنه بعض العباد فبكى عليه طويلاً وصلى على قبره وترحم عليه ثم قال: يا هذا ما الذى انتهى إليك من علم النيل؟ فأخبره، فقال: هكذا نجده فى الكتاب، ثم التفت إلى شجرة تفاح هناك فأقبل يحدثه ويطرى تفاحها فى عينيه، فقال له: يا هذا ألا تأكل؟ قال: معى رزقى من الجنة ونهيت أن أوثر عليه شيئاً من الدنيا، فقال الشيخ: هل رأيت فى الدنيا شيئاً مثل هذا التفاح؟ إنما هذه الشجرة أنزلها الله من الجنة وما تركها إلا لك ولو أكلت منها وانصرفت لرفعت، فلم يزل يحسنها فى عينه ويصفها له حتى أخذ منها تفاحة فعضها ليأكل منها فلما عضها عض يده ونودي: هل تعرف الشيخ؟ قال: لا ! قيل هذا الذى أخرج أباك آدم من الجنة، أما إنك لوسلمت بهذا الذى معك لأكل منه أهل الدنيا فلم ينفد، فلما وقف على ذلك

وعلم أنه إبليس أقبل حتى دخل مصر فأخبرهم بخبر النيل ومات بعد ذلك.

ياقوت الحموى / معجم البلدان / ج ٥ / ص ٣٣٨ - ٣٣٩

★ كان حابى عند قدماء المصريين هو القوة الكونية التى تنظم تدفق تيارات الماء فى الأرض.

صور المصرى القديم حابى على شكل رجل له بطن منتفخ وصدر كبير وهو بذلك يحمل صفات أنثوية، وذلك إشارة إلى أن عنصر الماء (وهو أحد عناصر الكون الأربعة) له طاقة مغناطيسية، والطاقة المغناطيسية توصف بأنها طاقة أنثوية فى مقابل الطاقة الكهربائية التى توصف بأنها طاقة مذكرة.

كان الفنان المصرى القديم دائما ما يصور حابى أسفل عروش الملوك، فنجد تماثيل رمسيس الثانى بمعبد الأقصر وقد صور الفنان فى الجزء الأسفل منها حابى، كما نجد أن عرش أوزوريس كان دائما

على الماء وذلك فى كل المشاهد التى ظهر فيها أوزوريس.

هكذا كانت العروش دائما على الماء، وأول من جلس على عرش هو أوزريس، فهو أول الملوك.

جاء ذكر حابى فى أقدم النصوص المصرية وهى متون الأهرام، وارتبط اسمه بمقاطعة كنست وهى المنطقة التى تشمل الشلال الأول وجزيرة اليفانتين وجزيرة فيلة.

تقول الأساطير المصرية القديمة إن نهر النيل ينبع من بيت حابى ويشق طريقه عبر السموات وعالم الموتى (عالم البرزخ) قبل أن ينبثق تياره من كهف يقع بين الجبال.

أطلق قدماء المصريين على الفيضان اسم "قدوم حابى"

وكان خنوم وساتت وأنوكيت هم القوى الكونية التى تحرس منابع النيل، فى حين كان حابى هو القوة الكونية التى تنظم تدفق الماء.

كان حابى هم اسم نهر النيل فى عصر ما قبل الأسرات، ثم أصبح يطلق عليه "ايترو" أى النهر وذلك منذ بداية عصر الأسرات.

أما كلمة نيل فهى مشتقة من الكلمة الإغريقية نيلوس، وهي النطق الإغريقي للكلمة المصرية القديمة "نو" معناها ماء. ومن ألقاب حابى «سيد الأسماك والطيور».

جاء فى أساطير هليوبوليس لنشأة الكون أن حابى كان زوجا "لنونت"، وهي مؤنث نون.

ونون ونونت هما بحر المياه الأزلى الذى خلق منه الكون.

كان وجود نون سابق على ظهور رع، فقد انبثق رع من بحر نون، ولما كان حابى زوجا لنونت فقد اعتبره قدماء المصريين أبا لـ "رع".

وهذ يدل على أن رمز حابى لا يقتصر على نهر النيل الموجود فوق سطح الأرض، ولكن حابى هو أحد القوى الكونية التى أدت دورا أساسيا فى عملية نشأة

الكون، بل كانت سابقة على وجود "رع" (النظام الكونى).

فهو لهم حياة ووجود، ورزق وسعود، وجمال وخلود، وقد وجد النيل حظه من التبجيل والتقدير فى زمن حكم الفراعنة وما تلاهم من الإغريق والرومان، وقد نعته المسلمون بأنه "سيد الأنهار" وأنه " بحر النيل المبارك".

ولأن النيل شريان الحياة لمصر فقد عنى به حكام مصر على مدى التاريخ عناية كبيرة للحفاظ على جريانه وضبطه الضبط الصحيح بما يكفل لهم حياة آمنة، فأقاموا السدود والجسور عندما كان يطغى ويزيد على الحد الذى يكفل لهم حياة وزراعة آمنة، ويحفروه عندما يقل عن الحد وتعوق الرمال والنباتات جريانه، وكان المصريون يدفعون الثمن دائما أرواحهم وأموالهم فى تلك المشاريع، كما عنوا بدراسته ووصفه ورصد أوقات فيضانه فأقاموا المقاييس لتتبع زيادته

ونقصانه، واحتفلوا الاحتفالات البهيجة الرائعة بمواسم فيضانه، وأقاموا النظم لربط سنتهم بالسنة الشمسية التى تسير عليها مواعيد فيضان النيل والزراعة.

وكتب المؤرخون والجغرافيون والرحالة الكتب والمقالات لدراسة النيل ووصفه ودراسة فروعه وخلجانه وجسوره وقنواته وقناطره ومقاييسه، وحظى النيل فى مجال الأدب بنصيب وافر فأفاض الأدباء فى وصفه والتغنى به شعرا ونثرا مما خلف أدبا جما وتراثا أدبيا خالداً. كما حافظ المصريون على نهر النيل، ومنعوا البناء على شاطئ النهر للسكنى ولا لغيرها إلا القناطر المحتاج إليها لأنها ملك للناس جميعا فلا يجوز التعدى عليها، لذا فقد وضع المصريون "حرماً" لتلك المجارى المائية لا يجوز البناء فيها بأى شكل من الأشكال فكان حرم العيون خمسمائة ذراع وحرم الأنهار ألف ذراع.

قصص اكتشاف منابع النيل

بعيدا عن القصة الأسطورية التى ذكرناها سابقا، ظل منبع نهر النيل لغزاً محيراً حتى وقت قريب، جعل الكثير يفكرون ويشردون بخيالهم كيف أن نهراً يجرى فى صحراء قاحلة وبالرغم من ذلك لم يجف يوماً ولم ينضب ماؤه؟ ففى أرض مصر لايتصل بالنهر أى رافد يعاونه ويغذيه كما أن مصر أرضها جافة لاتتساقط عليها الأمطار بغزارة كما يحدث فى بلدان أخرى ومع هذا فإن النهر يصل إلى البحر قوى ممتلئ لم تهزمه الصحارى ولا البوادى الجافة المتعطشة لمياهه العذبة بل إن النهر نفسه يفيض كل عام مرة واحدة بالماء فكيف يحدث هذا وماذا يغذى هذا النهر ومن أين ينبع؟ فقط الكل كان يعرف أن للنيل منبعين أحدهما يجىء من إثيوبيا والآخر هو النيل الأبيض أو المجرى الرئيسى لنهر النيل والذى ظل لزمن طويل لغز محير حاول الكثير أن يتوصلوا إلى اكتشافه، ففى القديم عندما حكم الرومان مصر حاول الإمبراطور

نيرون أن يكتشف سر منابع نهر النيل وأرسل بعثة تحت إمرة ضابطين أمرهم أن يسيروا مع النهر حتى يصلوا إلى منابعه ويقفوا على حقيقة مصدره. سار الضابطان المخلصان مع النهر وشرقا معه وغربا حتي وصلوا إلى أبعد مما وصيل اليه أى شخص آخر وعادا يقولان إنهما وصلا إلى مستنقعات مليئة بالنباتات المتشابكة عبروا خلفها ووصلوا إلى كتلتين صخريتين كبيرتين يسقط بينهما النهر ولكن أحداً لم يعرف ماوراء هذه المساقط بل إن أحداً لم يعرف هل هذه المساقط موجودة أم لا؟

قصة ديوجنيس

قام هذا التاجر الإغريقى برحلة تجارية عبر المستنقعات والأنهار فعبر الساحل الشرقى وسار بعدها لـ٢٥يوماً حتى وصل إلى بحيرتين كبيرتين وإلى سلسلة من الجبال الشامخة تعلوها الثلوج، هذه الجبال هى التى تغذى النيل بالمياه. وسارت قصة التاجر الإغريقى مع القرون وتناولها الناس وكل من

كتب عن النيل كرر قصة البحيرتين والجبال المغطاة بالثلوج وأطلق على هذه الجبال حينها اسم جبال القمر واجتذبت القصة خيال الناس وأفكارهم حتى صارت أسطورة تتناقلها الأجيال كما جاءت فى رواية ياقوت الحموى السابقة.

أساطير المسلمين حول النيل العظيم

قال المسعودى فى مروج الذهب: نقل صاحب الأقاليم السبعة أن أصل النيل من جبل القمر من عشر أعين فتجمع كل خمس أعين فى بطيحة هناك ثم يجريان، وصفة جبل القمر أنه منقوش وعلى رأسه شراريف كبار وذكر أن جبل القمر خلف خط الاستواء الذى يستوى فيه الليل والنهار دائماً والقمر يطلع عليه.

ويحكى أن ملك نقرواش الجبار ابن مصرايم توجه إلى منبع النيل فحصره وأصلح مجراه وكان يسيح على الأرض ويتفرق من غير حاجز فهندسه وساق منه

عدة أنهار إلى أماكن كثيرة لينتفع منها الناس وعمل هناك تماثيل من نحاس عددها ٨٥ تمثالاً جامعة للماء حتى لايخرج ماء النيل عنها وجعل لها منافذ مستديرة يخرج الماء من حلوق هذه التماثيل.

وقال ابن زولاق فى تاريخه إن بعض الملوك أمر قوماً أن يتتبعوا مجرى النيل حتى يصل إلى منابعه فساروا حتى وصلوا إلى جبل عال والماء ينزل من أعلاه وله دوى وهدير وضجيج عال ثم إن أحد القوم تسلق وصعد إلى أعلى الجبل فلما صار فى أعلاه ضحك وصفر بيده ومضى ثم إن رجلاً آخر منهم صعد بعده ليرى ماذا حدث ففعل نفس فعل سابقه فطلع ثالث وقال لأصحابه اربطونى من وسطى بحبل فإن فعلت كما فعلوا فاجذبونى بالحبل فلا أبرح مكانى فلما وصل صفق وأراد أن يفعل كما فعل سابقيه فجذبوه بالحبل حتى نزل عندهم فلما وصل خرس لسانه ولم يرد جواباً.. والكثير والكثير من الأساطير قيلت عن النيل ولكن أين الحقيقة؟

تعمير وادى النيل على يد المصريين الأول .

أما أحداث تعمير وادى النيل بالمصريين فترجع إلى أنه عندما بدأت الأمطار تجف فى شمال إفريقيا وبدأت الحشائش تجف وتذبل وتموت والشمس المحرقة تلقى أشعتها بغزارة على السهول والجنان فتحيلها إلى صحراء جافة وبدأت قطعان الظباء والحيوانات الجائعة ترحل نحو الجنوب وبدأ التصحر يزحف على البلاد فيحيل السهول والجنان إلى تلال رملية، حتى الإنسان الذى كان يعيش على هذه الأرض وقتها بدأ يواجه مصيراً صعباً بعد أن هاجرت الحيوانات التى كان يتغذى عليها وبعد أن دب الجفاف فى البلاد ومات كثير منهم، أما الذين لم يموتوا فقد تفرقوا وذهب بعضهم شمالاً وآخرون جنوباً والبعض بقى فى مكانه لم يترك أرضه حتى سمعوا أن هناك أرضاً خصبة مليئة بالنباتات تقع فى الشرق، لذا شد هؤلاء الرحال إلى الأرض الجديدة حيث واجهتهم الصدمة الكبرى فالأرض لم تكن

سـهـولاً وجنات كـمـا داز في خلدهم بل كـانت رقـعـة متـسـعـة تعلوها النبـاتات والحـشـائش مـحـاطة بمستنقعات مقفرة موحشة تعلوها سحابات من البعوض. كان النيل عبارة عن مستنقع واسع يضيع فيه مجرى النهر محاط بغابة موحشة من الغاب والحشائش التى ترتفع لأكثر من١٥قدماً ترقد وسطها التماسيح المخيفة فاتحة فكيها متأهبة لاقتناص أى فريسة. وهكذا عندما وصل الإنسان فى بادئ الأمر إلى نهر النيل وجد مستنقعات وأحراشاً كثيفة وبعوضاً وجحيماً لايطاق أى أنه لم يجد الأرض سهولاً وجناناً. ولم يكن الأمر سهلاً فماذا فعل؟ لم يكن أمام هؤلاء المهاجرين من سبيل للعودة إطلاقاً ففى الأرض التى عاشوا فيها سابقا كان الغذاء يقل عاماً بعد عام لذلك فالعودة كانت تعنى الهلاك جوعاً وعطشا. لم يكن أمامهم إلا أن يبقوا حيث هم وأن يواجهوا التحديات والصعاب وأن يصطادوا أفراس البحر ويجففوا المستنقعات المحيطة بضفاف النيل ليزرعوا محلها، هؤلاء القوم كانوا فى أوطانهم رحلاً

لايستقرون على مكان ولايعرفون الزراعة، كانوا يجمعون البذور والفاكهة، ولكنهم الآن ودون مهارة فى الزراعة اعتمدوا على التجربة والاستنتاج وعلى عزيمتهم وقوة سواعدهم وإصرارهم على البقاء واستطاعوا زراعة الحبوب، فى البداية زرعوا الحب على حافة المستنقع ناقلين المياه إلى غاية مايستطيعون لرى حقولهم وعندما نمى القمح زاد سرورهم وزادت أيضاً آمالهم وطموحاتهم فمن كل حبة زرعوها جنوا على الأقل ٢٠٠ حبة ولكنهم لا يستطيعون الزراعة بعيداً عن حافة المستنقع حيث لن يصل الماء إلى الأرض التى سيزرعونها، لذا خطرت لهم فكرة اكتساب الأرض من تجفيف مساحات أوسع من المستنقعات المحيطة نفسها وبعد آلاف السنين تحولت المستنقعات إلى أراض جافة وبدأ النهر يجرى بسرعة أكبر ويحفر لنفسه مجرى أضيق وأكثر عمقاً وصار ضبطه أسهل. وهكذا ولد وادى النيل.

حضارة عظيمة نشأت على ضفاف النهر

هل تساءلت عن سر عظمة الحضارة الفرعونية هل لأنها أقدم حضارة أم لأنها بهرت العالم بفنونها وعلومها أم لأنها إلى الآن لم نعرف عنها الكثير ومازال أمامنا الكثير لنتعلمه ونعرفه عنها، هل لأن بناة هذه الحضارة كانوا جبابرة فراعين استطاعوا أن يشقوا الصخور وينحتوا الجبال ويبنوا أول حضارة رى عرفها التاريخ؟

هل تساءلت عن سبب نشأة هذه الحضارة فى هذا المكان بالذات؟؟ هل تساءلت عن سبب قوتها ورقيها؟ نعم إنه نهر النيل.. أجل النهر سبب كل ذلك فبعد جريان النيل لم يعد هناك خوف من جوع وتعلموا الزراعة التى توفر لديهم الغذاء وصاروا يخزنونه لأيام صعاب. وهكذا تزايد المخزون يوماً بعد يوم حتى لم يعد هناك داع لأن يعمل كل الناس فى الزراعة ويمكن أن يوجه البعض لأعمال أخرى خاصة بعد اختراع المحراث واستخدام الثيران هكذا تعلم البعض

صنع الآنية الفخارية من الطمى الذى يجود عليهم النيل به ونسج القماش من نبات القطن والكتان الذى نبت على ضفاف النهر وصنع طوب البناء من طمى النيل وتعلم تربية الحيوانات التى استأنسوها وصاروا يعتبرونها من مصادر الألبان والغذاء، هكذا تعلموا أنه من الأفضل أن يسكنوا متجاورين فى قرى وأن يتبادلوا المنافع. ولكن مع الأيام ظهرت مشكلة جديدة. المشكلة هى فيض النيل وكثرة مايجود به ففى كل مرة يعلو الفيضان تمتلئ القنوات بالطمى وهكذا يكون من الضرورى إعادة تطهيرها ومن الضرورى استمرار تصريف مياه النهر لتجفيف الأرض، وهذا كان يتطلب الكثير من العمل والتعاون من القادة الذين ينظمون العمل، وهكذا ولدت الحكومة وكان واجب حفر القنوات سهل هين عند مصب النهر حيث يتفرع النيل إلى مجار صغيرة كثيرة العدد وحيث يتخلى النهر عما يحمله من طمى، وهكذا تكونت بين فرعى النهر جزيرة كبرى مثلثة الشكل هى الدلتا. ولما كانت السيطرة على

النهر فى أرض الدلتا أيسر وأسهل فقد تطورت واستطاعت أن تغزو مصر الصعيد، فلما حكم الدلتا والصعيد ملك واحد استطاع توحيد البلاد وخضع له الجميع واستطاع أن يجمع الضرائب لينفق على مشاريع الرى والصرف وتطهير النيل، وهكذا صار لزاماً على الملك أن يهتم بالمحاصيل لأنها كلما زادت كلما زادت نسبة الضرائب وهكذا نظم جمع الحبوب والغلال وأنشأ شبكات رى لتروى المزيد والمزيد من الأراضى، فكان النهر هو الشغل الشاغل لكل فرد واحتاجوا إلى معرفة أوقات الفيضانات فراقبوا السماء قبل الفيضان وعرفوا مواقيتها وأوجدوا تقويماً للوقت، ولما عرفوا كيف يقومون الوقت استطاعوا أن يسجلوا الحوادث بصور ورسوم كل منها يمثل فكرة، ومع مرور الأيام كانت هذه الصور تدل على أصوات وهكذا اخترعوا الكتابة، وفى البداية كانوا يكتبون على الأحجار والفخار

والخشب والعظام وكانت كل هذه الأشياء ثقيلة وغير عملية وبحثوا فى نهرهم العظيم عما يصلح لأن يكتبوا عليه ولم يبخل عليهم النهر فاهداهم هدية عظيمة هذه الهدية هى:

نبات البردى

هذه الحشائش الطويلة التى كانت تنمو فى مستنقعات النيل فى أجمات وأدغال كثيفة قد تعلو لارتفاع ١٨قدماً أى مايعادل ٥ أمتار تقريباً وهكذا قاموا بقطع تلك الحشائش فى أشرطة دقيقة ثم جدلوها معاً متقاطعة ثم ضربوها وضغطوها حتى صارت صفحة رقيقة وبذلك صنعوا الورق، ولكن مازال ينقصهم الأقلام والمداد فمن أين يحصلون عليها؟

هل قال أحدكم من النهر؟ نعم حصلوا على كل ماتمنوه من نهر النيل العظيم فعلى ضفاف النهر

كانت تنموا أعواد الغاب والبوص المدببة الأطراف فاستعملوها كأقلام، ومن مجرى النهر ماء زادوا من سمكه بصمغ نباتي مزجوه بسناج (هباب) القدور والأواني الفخارية التي سودتها النيران فحصلوا على المداد وهكذا حصلوا على الورق والأقلام والمداد كل هذا من هذا النهر العظيم ولم يتوقف الأمر على هذا فقط فقد علمهم النهر كيفية القياس وعلم المساحة وهندسة الرى والصرف.

علم المساحة

عندما يفيض نهر النيل العظيم فإنه يكتسح كل شيء الحواجز والسدود والجسور فكيف يستطيع مزارع أن يعرف أين تنتهي أرضه وأين تبدأ أرض جاره؟ كانوا في البداية يقيسون الأرض جزافاً لتسوية النزاعات ولكن عندما بدأوا البناء تعلموا القياس بدقة أدهشت العالم حتى أنهم اخجلوا رجال

العمارة فى عصرنا الحالى فقد اخترعوا وحدات المساحه كالقيراط والذراع والفدان.. إلخ.

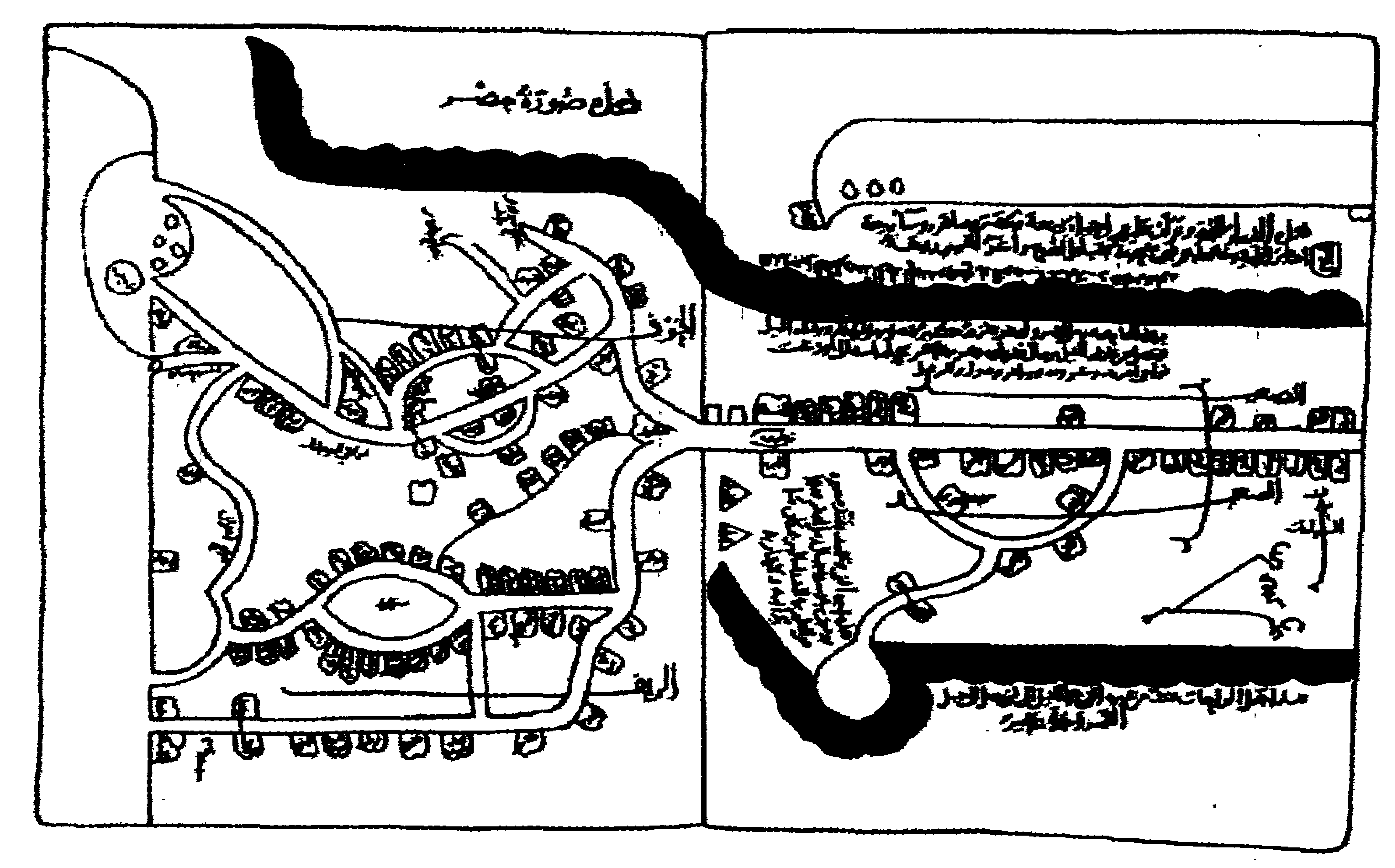
ومع تعلم المصريين لعلم المساحة والقياس تعلموا أيضاً فن المعمار والهندسة ففى بادئ الأمر لم تكن لديهم آلات حديدية لقطع الأحجار واستخدموا فى البناء قوالب الطين المجفف بالشمس ولكنهم مع الأيام حصلوا على النحاس وصنعوا منه منشاراً عملاقاً بطول ٩ أقدام حوالى ٣ أمتار وبهذه المناشير قطعوا كتلاً كبيرة من الأحجار بإحكام ودقة واستخدموها فى بناء مقابرهم ومعابدهم التى مازالت إلى الآن أعجوبة من عجايب العالم يقف أمامها المهندسون والمعماريون منبهرين منقطعى الأنفاس ولعل أهرام الجيزة خير دليل على ذلك.

الكشف عن منابع النيل فى العصر الحديث

فى عام ١٨٥٦ بدأ ضابط إنجليزى اسمه جون هانج سبيك رحلة لإفريقيا ليجمع أنواعاً مختلفة من

الحيوانات، وفى يوم ٢٨يناير عام ١٨٦٢ وصل سبيك إلى مكان به كتلتان صخريتان كبيرتان يسقط بينهما النهر، لقد وصل سبيك أخيراً إلى منابع نهر النيل ورأى مجرى الماء الذى يتسع إلى مسافة ٣٠٠ياردة بمياهه الزرقاء يهبط لمسافة ١٦قدماً ونصف ويتحول إلى زبد أبيض هائج متلاطم، وعرف أنه يطل على النيل ووقف يراقب النهر وهو ينفذ من فم بحيرة فيكتوريا راكضاً مسرعاً نحو رحلته الطويلة إلى البحر المتوسط ولم يحاول سبيك أن يسير على النيل شمالاً إلى المستنقعات. كان قد اجتاز الأرض من الساحل إلى داخل القارة فى نفس الرحلة التى مر بها ديوجنيس الإغريقى، وكان سبيك فى رحلة سابقة قد اكتشف بحيرة فكتوريا وهو الذى أعطاها هذا الاسم وهكذا عاد سبيك ليخبر العالم كله عن هذا الاكتشاف المذهل الذى بهر العالم، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد فقد جاءت أنباء أخرى من اثنين مستكشفين كانا

يبحثان عن منابع النهر وكان لديهم الجديد ليضيفوه فلم تكن بحيرة واحدة التى تغذى نهر النيل بل بحيرتان، وأن ثلوج جبال القمر تغذى النيل أيضاً بالماء فبعد أن يترك النيل بحيرة فكتوريا فإنه يصب داخل كتلة مائية كبيرة هذه الكتلة المائية هى بحيرة ألبرت وهذه لاتتغذى بمياه الأمطار فحسب بل إن الثلوج التى تذوب من سلسلة جبال روينزورى تغذيها أيضاً، ولم تكن جبال روينزورى شىء آخر غير جبال القمر لذا فإن قصة ديوجنيس صحيحة فى كل نواحيها. ومع هذا الاحتياطى الكبير فى المياه كان النيل فى مأمن من أن يجف وهو يسير لآلاف الأميال تحت أشعة الشمس المحرقة إلى أن يصل إلى البحر عاتياً قوياً. الغريب بعد كل هذا أن البحيرتين لم تكونا السبب فى فيضانه بل إن دورهما كان مقتصراً على إبقاء النيل ممتلئاً بالماء، إذاً فما سبب الفيضان؟


صورة مصر
الحوف
الريف
الصعيد

قصة فيضان النيل

كما قلنا ليست بحيرة فيكتوريا ولا ألبرت هما السبب في فيضان النيل بالماء بل إن السبب في فيضانه هو النيل الأزرق والعطبرة وهما الرافد الثاني لنهر النيل والذى منبعه هضبة إثيوبيا هذا النيل الأزرق الذى يظل جافاً لمدة ١٠شهور حتى تظنه مجرى مائياً ضحلاً في حين تجف مياه العطبرة تماماً، فإذا مابدأ سقوط الأمطار في إثيوبيا امتلأ النهران لشهرين بأمواج متلاطمة من الماء ويجيء هذا التحول فجأة في كل مرة حتى يبدو الأمر وكأن معجزة تقع. ويحكي الكابتن صمويل بيكر الذى كشف بحيرة ألبرت وكشف أيضاً رافد العطبرة كيف فوجئ رجاله ذات مرة بوصول المياه، ففي ليلة الرابع والعشرين من يونيو عندما كان كثير من رجاله نائمين يغطون في نوم عميق على الرمال النظيفة في حوض النهر سمع الرحالة

وزوجته صوت كهزيم الرعد يجيء من مسافة بعيدة وزاد الصوت وأصبح قعقعة مخيفة أيقظت النيام فى هلع، وفى غمرة الاضطراب الذى حدث أوضح المترجم للرحالة أن هذا الصوت ليس قصف رعد وإنما هو النهر المندفع، واندفع الجميع مبتعدين عن جدار مجرى النهر الذى اندفعت مياهه فى الظلمة مغطية كل شىء وعلى أضواء الصباح الأولى رأى بيكر مشهداً لن ينساه، إنه نهر نبيل عات هو أعجوبة الصحراء، فبالأمس كانت الرمال المحرقة تغطى كل شىء يمر بينها مجرى مائى صغير محدود الملامح واليوم تحول إلى نهر عملاق عات يصل عرضه إلى ٥٠٠ياردة وعمقه حوالى ٢٠قدماً يحمل في طياته الطمي وهو عبارة عن أتربة لصخور بركانية دافعاً بها بكل الكرم والحفاوة إلى مصر.

قفطاريم بن قبطيم

من مخايلات التاريخ ما يذكره لنا حسين فوزى فى كتابه "سندباد مصرى طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٧" حيث يقول:

ماذا كان يحفظ أجدادنا كلهم من تاريخنا منذ دخول المسيحية مصر، وبماذا كانت توحى إليهم أطلال ذلك التاريخ القديم؟

هل طالعوا أو سمعوا بما كتبه المؤرخون والرحالة اليونان والرومان، ويوسيفوس اليهودى، عن مصر القديمة، ديانتها وآثارها؟ لم يطالعوا شيئا من ذلك فى الأغلب.

أى أن أوروبا كانت تعرف عن مصر القديمة أكثر كثيراً مما كان يعرف أجدادنا الأبعدون والأقربون، بل ما تزال أوروبا تسبقنا فى كل شىء، حتى فى دراسة تاريخنا القديم والحديث.

أى أن المصريين، منذ العهد المسيحى، نسوا تاريخهم، أمجد صفحات من أيامهم! ولا نعلم متى

فقدوا الصلة بحضارتهم الفرعونية، ومتى عجزوا عن قراءة اللغة القديمة، وإن كان الغالب أن مقاومتهم للهلينية، علومها ومعارفها ولغتها، واستعمالهم مع ذلك الحروف اليونانية فى كتابة لغتهم القديمة، ثم اعتناقهم المسيحية، وتغاليهم فى تطبيق مرسوم تيودوسيوس بإيقاف العبادات الوثنية، كل هذا انتهى بهم إلى الانفصال عن التاريخ القديم، ومن السهل أن نتصور سر قراءة الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية، وقد دفن مع آخر الكهان والكتاب والعرافين، الذين احتفظوا بديانتهم العتيقة، وماتوا عليها، وعفت بانقراضهم.

ومعنى هذا، من باب أولى أن ينسى المصريون المسلمون تاريخهم القديم.

وبذلك يجمع سكان وادى النيل على الاكتفاء من ذلك التاريخ بما ورد فى كتبهم المقدسة، قال المستشرق فون هامر، فى كتابه عن تاريخ الدولة العثمانية:

"أما من جهة عجائب مصر، فإن أكثر الناس تمدنا، من الأتراك والفرس والعرب، لم ينظروا إليها بالعين التى يراها الأوروبيون وقدماء اليونان والرومان،. فبينما يعتبر الأوروبى مصر المنبع الأول للعلوم والفنون، ومهدا للهندسة وتخطيط البلدان والعمارة والزراعة والكتابة والملاحة، وبينما هو يعجب بآثار عمارتها وبهياكلها وبمدافنها وأهرامها ومسلاتها وتماثيلها، وبينما حب العلوم يحمله على مطالعة نصوصها السرية المنقوشة على ذلك الكتاب الحجرى، الذى فتحت صفحاته منذ آلاف من السنين، وأقيمت عن أعلى شلالات النيل، منحدرة إلى الوادى الخصيب، نجد أن الشرقى لا يرى فى تلك الكتابة الرمزية إلا طلاسم تخفى على الناس طرق استخراج الذهب، واستكشاف المطالب المخبأة فيها، ولقد شارك أوروبا أهل الشرق فى الاعتقاد بتلك الأوهام زمنا طويلا، وسألت تلك الأحجار عن سر حجر الفلاسفة،

وأنكرت المعاني المستترة وراء سر الكيمياء التي نقلتها العصور الوسطى من مصر.

"على أن تعاليم الزراعة التي تحيل ماء النيل ذهبا قد حلت تلك القضية حلا طبيعيا، فإذا لم ير الشرقيون في الفراعنة والبطالسة إلا أبطال رموز وأسرار، ولم يمكنهم أن يفقهوا عقائد مصر القديمة، وإذا استغلقت عليهم الكتابات المطوية في ملفات البردى، فإن شرائع الأنبياء قد نزلت فجلت لأعينهم أرض مصر مجللة بأكاليل من النور، غاب إشعاعه عن أهل أوروبا فلم تشاهده عيونهم إلا قليلا.

"فمصر مقدسة عند أهل الشرق، لا بذكرى يعقوب وأولاده فحسب، ولكن بما ورد عن صلاحها في كتاب الله، وأحاديث الرسول، فالمسلم لا يعرف سيزوستريس ولا أوزيمانديياس، ولا فراعنة عنده إلا فرعون الذي ملأ يوسف أهراءه، وفرعون الذي ابتعلته مياه البحر الأحمر.

ولو توفر المصريون الأقباط والمسلمون على مطالعة ما جاء عن أجدادهم فى كتب هيرودوتس وديودورس الصقلى وجرجس سنسيلوس واسترابون وبلوتارك وبولبيوس ويوسيفوس، لعرفوا بعض هذا التاريخ، وإن اختلط بالخرافات والأساطير، ولفهموا على الأقل ما فهمه اليونان والرومان، ومن جاء بعدهم، من آثار مصر.

ولكن سوء الطالع قضى بألا يتعدى الأقباط إلى أبعد من تاريخ المسيحية بمصر، وألا يعنى العرب فى عهد الحضارة الإسلامية الكبرى بغير ما جاء فى كتب اليونان خاصا بالفلسفة والطب والعلوم. وأن يبقى التاريخ والأدب بأنواعه شيئا مجهولا عندهم إلا فى أقله، وبذلك قصرت معارف المصريين جميعا عن أن تبلغ من تاريخهم مبلغ ما عرفه الإغريق والرومان.

ولقد حاولت أن أعرف من كتب المسيحيين ما تذكر عن تاريخ مصر القديم فلم أجد إلا النذر اليسير فهذا العلامة غريغوريوس أبو الفرج هرون المعروف بابن

العبرى لا يتحدث عن تاريخ مصر البتة، مع أنه يعنى بتاريخ العالم منذ الخليقة، ويكتب تاريخ الدول اليونانية والفارسية والمغولية والإسلامية، ويترجم لعلماء المسلمين والنصارى، ويختص بعنايته تراجم الأطباء، وكل ما تعلمته من ابن العبرى هو أن هرمس طرسميجسطس - أى المثلث الحكمة - هو إدريس العرب، وربما كان أيضا أخنوخ بن متوشالح، وأن معلم هرمس كان أغاثاديمون المصرى، وأن أسقلبيادس الملك واحد ممن أخذ الحكمة عن هرمس. كما عرفت أن مايندروس استنبط نوعا من الشعر يسمى "قوموذيا" (كوميديا) ونوعا آخر يسمى "طراغوذيا"، وأن الملكة البطليموسية المشهورة ينطق باسمها "قلاوفطرا"، ومعناه "الباكية على الصخرة".

ولم أكن أكثر توفيقا فى قراءة كتاب "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق" تأليف البطريرك أفتشيوس المكنى بسعيد بن بطريق «باتريك»، وقد كتبه لأخيه عيسى يرد على مذهب الطبيعة الواحدة،

بعد أن يسرد التواريخ الكلية من عهد آدم حتى سنى الهجرة الإسلامية.

وكل هذا غير مفهوم ولا معقول، فإن تاريخ مصر القديمة لا يمكن أن يكون فص ملح وداب بين أيدى المسلمين والأقباط. والحقيقة أنه موجود معروف متداول عند غالبية من أرخوا لمصر. وما عليك إلا أن تتابع ما يقوله أولئك المؤرخون بعد الخليقة بقليل، قبل الطوفان وعقب الطوفان، لتكتشف لمصر تاريخا هو العجب العجاب، أقدم لك خلاصته، لتكون على علم تام بالصورة التى كانت فى أذهان آبائنا منذ العهد المسيحى حتى الأمس القريب عن أجدادنا العظماء.

فمصر الفرعونية عند مؤرخى العرب كانت بلاد السحر والعرافة والكهانة. وقد سمع أولئك المؤرخون أن اليونان يعترفون بما للمصريين عليهم من فضل، فيقولون بأننا عرفنا هذا عن طريق حكماء مصر، وتعلمنا ذلك على أيديهم، إن كهنة المصريين أسسوا

علومهم على النجوم، وأن النجوم علمتهم الأسرار، وكشفت لهم عن الحجب، وأن الكهنة أقاموا الشرائع العادلة، وصنعوا الطلاسم المشهورة، ورسموا الصور التى تبرجم، ونحتوا التماثيل التى تتحرك، وتخرج الأصوات، وأنشأوا البرابى والأهرام، ونقشوا على جدرانها أسرار الطب والعلوم.

وكانت مصر مقسمة فى أيامهم إلى خمس وثمانين كورة، خمس وأربعين بالوجه البحرى، وأربعين بالصعيد، ويرأس كل كورة كبير الكهنة.

وكان اسم مصر "إمسوس" «إجبتوس؟»، ويتولى عرشها ملك كاهن اسمه عنقام من نسل عرباق بن آدم، وعاش عنقام هذا قبل الطوفان وتنبأ به، وتنسب إليه كتب الأقباط، التى تحكى سير ملوكهم، وفى أوراق الأقباط هذه، حديث قونية، الكاهنة التى تجلس على عرش من نار، إذا جاءها طالب الحق يسعى، وكان صادقا، اخترق إليها النار، فكانت عليه بردا وسلاما.

وأول من حكم مصر، قبل الطوفان، مصرايم بن مراكيل بن داويل بن عرياق ابن آدم، خرج مع بضعة سبعين من نسل عرياق يبحثون عن مكان يقيمون فيه بعيدا عن الناس، فبلغوا نهر النيل وساروا بمحاذاته، حتى وصلوا إلى بلاد الحرث والزرع، فاستقروا بها، وهم الذين شيدوا القصور، وأقاموا الآثار العجيبة.

وأطلق مصرايم اسمه على حاضرة البلاد، وبنى غيرها مدنا كثيرة، أسكن فيها الناس، وأخذ هؤلاء يحفرون الترع ليجلبوا ماء النيل إلى محلاتهم، أما قبل ذلك فكان النهر يجرى على غير نظام، فى بطائح وسيالات وأخاديد.

وفى السنة العشرين بعد المائة من حكم مصرايم، أمر فأقيمت الأبراج وكتبت على أسوارها أسرار الحكمة، وقسم الملك بين بنيه، فأعطى الغرب لنقراوس، والشرق لسوريد، وولى ابنه الأصغر المسمى باسمه، مصرايم، على مدينة اسمها يربيان.

وحكم مصرايم الكبير مائة وثمانين عاماً، ولما مات حنط جثمانه بدهان المسك، ووضع فى تابوت من ذهب، ومعه كنوزه وتماثيل من ذهب. وكتب تاريخ موته على القبر، ثم صنعت الطلاسم لإبعاد الزواحف والأوابد، وكل من حاول نبش قبره من إنسان أو حيوان.

ومن ملوك مصر خصليم، وكان أول من بنى مقياساً للنيل، وجمع لبنائه العلماء والمهندسين، فأقاموا بيتاً من زجاج على الشاطئ، وفى وسطه حوض ماء من صفر، وعلى حافة الحوض وضعوا عقابين من نحاس ذكراً وأنثى. ففى بدء الفيضان كانوا يجتمعون أمام تلك الدار، ويدخل الكهنة بحضور الملك ويتلون التعاويذ، حتى يصفر أحد الطائرين. فإن صفر الذكر جاء النيل عالياً ذلك العام، وإن صفرت الأنثى فقل يا رحمن يا رحيم!

ومن ملوك مصر سوريد بن سهلوق، وهو الذى بنى الأهرام التى تنسب إلى شداد بن عاد. والأقباط

ينكرون أن أهل عاد دخلوا بلادهم، بل وينكرون دخول العمالقة! وبناها سوريد توقيا من الطوفان الذى تنبأ به الحكيم فليمون - ولعله نقل ذلك عن الملك عنقام من نسل عرباق بن آدم؟ - وكذلك أنشأ البرابى والآثار الأخرى ليحفظ فيها جثمانه وجثمان أهله، وجميع ما تحتوى خزائنه. وأمر فنقشت على الحيطان والعمدان أسرار العلوم وأسماء النجوم والنباتات وخواصها، وطريقة صنع الطلاسم، وبنى الأهرامات من الصوان الذى جيء به من أسوان، وكانت أبوابها فى سراديب تحت الأرض، وأقام عليها الطلاسم، وأودع بها تاريخ الملوك وحكمهم، وما هو مكتوب لمصر فى لوح القدر حتى آخر الزمان.

ويقول الأقباط الذين قرءوا ما كتبه علىالأهرام إنه يتحدى الأجيال بقوله: "أنا الملك سوريد، قد بنيت هذه الأهرام فى ستين سنة، فمن أتى بعدى، ويزعم أنه مثلى، فليهدمها فى ستمائة عام، علما بأن الهدم أهون

من البناء" وقيل بأن سوريد هو الذى بنى البرابى فى قفط وإخميم.

وعندما جاء المأمون إلى مصر ورأى الأهرامات، أراد أن يهدمها ليرى ما بداخلها فعجز، ثم حاول فتحها، وأجرى بها الفتحة الموجودة إلى الآن، واكتشف أن عرض الحائط عشرون ذراعا، ودخل رجاله إلى الهرم فانحدروا فى سرداب، وعاد بعضهم ولم يعد الآخرون، وقال من نجا منهم بأنهم رأوا بالداخل وطاويط فى حجم النسور والعقبان.

وأغرق الطوفان مصر فى زمن الملك فرعان بن ميسور، وبلغ ارتفاعه ربع الهرم، وما زال الماء يرى عليه إلى اليوم.

ومع أن الفرس والهنود ينكرون بأن الطوفان شمل الأرض كلها، إلا أن المؤرخين أجمعوا على أنه أغرق الدنيا بما فيها.

وأول من حكم مصر بعد الطوفان كان مصرايم بن بيسر بن حام بن نوح. وتزوج بنت الحكيم فليمون،

فـأنجب منهـا قـبطيم، وأكـمل قـبطيم دينه فى شـرخ شـبـابه ـ ومـا يكاد يبلغ التـسـعين عـامـا! ـ فـرزق بقفطاريم وأشمون وأتريب وصـا. وبنى مصـرايم مدينة مافة، وهـى منف. وكشف فليمون للملك عن كنوز مصر المخـبوءة قـبل الطوفـان، وعلمـه قـراءة الكتـابات التى بالبرابى. وأنشـأ فليمون على البحر المالح مدينة رقودة «راكوتيس»، التى قامت إسكندرية إلى جانبـها فـيمـا بعد.

وقسـم مصـرايم الملك بين بـنيه: من أسوان إلى قفط لابنه قـبطيـم، ومن قـفط إلى منف لابنه أشـمـون، وولى أتريب على الحـوف، وأقام صـا ملكاً على الغـرب حتى إفريقيا.

وحكم قـفطاريم بـعد قـبطيـم، وبنى أهرام دهشـور، وأسس مـدينة دندرة. وكانت مـدة حكمه أربعمـائة عـام. وهو الذى أقام حيال قفط منارة يرى من أعلاها البحر الشـرقى كله. وفى عـهده اكتـشف إبليس اللـعين أغلب الأوثان التى أغرقـها الطوفـان، وأعـادها إلى أمـكنتـها

فى الهياكل. وبنى قفطاريم لنفسه قبراً فى الجبل الغربى، على مقربة من مدينة إرم ذات العماد، حفره فى بطن الجبل قاعات كبيرة امتلأت بالكنوز، وتحيط ببهو وسطها، كسى سقفه بالجواهر، وأجلس الملك محنطا ووسط البهو على عشر يتلألأ، وحوله آلاف من أوانى الكافور، ووضع أمام باب القبر صنمان عظيمان من النحاس، يحمل كل منهما سيفاً، وأمامهما مصطبة يطؤها الداخل إلى القبر، فتتحرك ذراعا التمثالين، وتقطع الداخلين بالسيوف.

وبنى مدينة بمصر على اسمه، وجعل لها أربعة أبواب، ونصب على كل باب منها صنما من صفر، فكان إذا بلغ تلك الأبواب غريب، ألقى عليه النوم، فلا يفيق إلا أن يأتيه واحد من أهل المدينة ينفخ فى دبره. وإن لم يفعلوا ذلك، ظل الغريب نائما حتى يموت.

ويولى البودشير بعد قفطاريم، وكان عالماً فاضلا فى الطلسمات والكهانة والسحر، وله أعمال عجيبة، منها أنه عمل شجرة من نحاس أصفر، وأقامها فى

الفضاء، فكان لا يمر بها وحش ولا طير إلا وتسمر في مكانه، لا يستطيع حراكاً حتى يؤخذ باليد، فشبعت الناس في أيامه من لحوم الوحش والطير.

وفي أواخر حكمه، اختفى البودشير عن الناس، وأقام في السحاب، ثم ظهر لقومه عند طلوع الشمس وهي في برج الحمل، ونادى على الجند، وأمرهم بتولية ابنه عديم، وكان عديم جباراً عنيداً، لم يحكم إلا مائة وأربعين عاما، وهلك في العام الثلاثين بعد التسعمائة من عمره. وخلفه شداد وهو غير شداد بن عاد. وشداد هذا هو باني معبد أرمنت، كما أنشأ معبداً مماثلا بمدينة أنصنا. وهو أول من خرج إلى الصيد، فاستألف الكلاب السلوقية من الذئاب، ومات في سن الزهور، وعمره أربعون وأربعمائة عام. وكانت مدة حكمه قصيرة، لم تزد على التسعين عاما.

وخلفه منقاوس الذى قسم مغل مصر إلى أربعة أنصبة: ربع للملك، وربع للجيش، وربع لاستصلاح

الأرض وإقامة الجسور والقناطر، وحفر الترع، وربع للطواريء. وكان إيراد مصر في زمانه ثلاثة ومائة مليون دينار، وكانت البلاد مقسمة إلى ثلاث ومائة كورة. ولكن كور مصر الآن خمس وثمانون فقط.

وورثه ابنه متاوس، وهو أول من عبد العجل فى مصر.

ومن ملوك مصر أشمون بن قبطيم، وكان من أعظم ملوك مصر، على قول القبط، وحكم ثمانمائة عام، وكان ملكه قد وقع فى أيدى أبناء عاد فى السنة الستمائة، ولكنهم غادروا البلاد، بعد أن أقاموا فيها تسعين عاما. وفى عهد أشمون أنشئت مدينة البهنسا.

وولى بعده ابنه مناقيوس، وكان أول من صنع الميزان، ثم مرقورة وهو فى كتب القبط أول من استألف الأوابد، وروض السباع، وركبها ذلولا. وتولى ابنه بلاطس وكان طفلا، فأدارت المملكة أمه مرهبة، وكانت امرأة حازمة عاقلة. وانتقل الملك إلى عم بلاطس، وهو أتريب.

ومن ملوك مصر طوطيس. ويقول القبط إنه أول الفراعنة بمصر، وهو الذى حاول اغتصاب سارة زوجة إبراهيم، وكان إبراهيم، حين وفد على مصر، ادعى أنها أخته، وكلما هم بها الفرعون وقفت ذراعه وتيبست، فيطلب إلى سارة أن تدعو ربها فيبرأ، ويعود إلى مراودتها عن نفسها.

وبعد طوطيس حكمت حورية، وهى التى وجه إليها ملك سوريا العمالقى جيشاً بقيادة جيرون. ولكن بعض المؤرخين يؤكدون أن الذى غزا مصر حينذاك هو الوليد بن دومع، وأن الوليد هو الذى أعاد بناء إسكندرية بعد أن دمرها أهل عاد. وتجىء هنا حكاية الراعى والجنية البحرية التى أوردت نصها فى كتابى "حديث السندباد القديم".

وبالوليد بن دومع تبدأ أسرة العمالقة بمصر، ويخلفه فى الحكم الريان بن الوليد، أسلادس، وتسميه القبط نهراوس، وكان طويل القامة جميل الخلقة، عالماً بالطلسمات، بدأ حكمه بالعدل والقسطاس، ثم خضع

لروح الشر، وانغمس فى الفجور، وترك الحكم لواحد من رجاله اسمه قطفير، وهو الذى يعرف بالعزين، وكان حاكماً عادلاً نزيهاً. قال الواقدى إن الريان بن الوليد هو الذى بني قصر الشمع «حصن بابليون» ولم يزل القصر عامراً، حتى خربه بختنصر، عندما دخل مصر. وأقام القصر خراباً نحو خمسمائة سنة، لم يبق منه إلا الرسوم. فلما قويت شوكة الروم على اليونان، واستولوا على مصر، جدد بناء ذلك القصر ملك من الروم يقال له مقراطيس، وجعله بيتاً لعبادة النيران. قال وهب بن منبه إن الريان كان مؤمنا على يد يعقوب عليه السلام لما دخل مصر، وكان يكتم إيمانه خوفا من فساد ملكه. وفى أيام الريان، بنى يوسف مدينة الفيوم، وقيل إنها بنيت بالوحى إلى يوسف على لسان جبريل عليه السلام. وعمرها يوسف فى مدة يسيرة، فلما نظر إليها الملك الريان، صار يتعجب من سرعة بنائها، وقال هذا كان يعمل فى "ألف يوم" فسميت الفيوم.

واستمر الريان حتى هلك، فاستقر يوسف مكانه.

وبعد ذلك تولى على مصر ملك يقال له داروم، وهو الفرعون الثالث. أما الفرعون الرابع عند القبط فهو دريموس، وكانت له أعمال وصنائع عجيبة، منها أنه عمل تنوراً يشوى فيه من غير نار - كالفرن الكهربائى فى أيامنا - وعمل سكيناً منصوبا تأتى إليه البهائم فتذبح فيه نفسها من غير يد - الذبح الأتوماتيكى! - وكل هذا من باب علم النارنجيات.

أما الفرعون الخامس فهو الذى يقال له ميلاطس بن دريموس، وقد غرق فى النيل، وطفت جثته أمام شطنوف.

والفرعون السادس هو فرعون موسى، واسمه عند القبط طلما بن قومس. قال وهب بن منبه: كان اسمه الوليد بن مصعب، وكان أصله من مدينة بلخ، وقيل بل من أرض حوران من نواحي الشام، وكان عطاراً فتجمد عليه دين، فخرج على وجهه حتى دخل مصر. وكانت صفته أعور، وطول لحيته سبعة أشبار، مع

قصر قامة وعرج، ولم يزل قائماً بملك مصر حتى هلك في أيامه ثلاثة قرون من العالم، وهو باق. فعند ذلك طغى وتجبر، وقال أنا ربكم الأعلى. قال وهب ابن منبه: عاش فرعون موسى أربعمائة سنة، وهو منفرد بملك مصر، ولم يزل في النعمة حتى أخذه الله نكال الآخرة والأولى، غرقاً في البحر. قال إبراهيم بن وصيف شاه إن خراج مصر كان يجبى في كل سنة اثنين وسبعين ألف ألف دينار.

ولم يزل فرعون قائما بمصر حتى هلك وأغرقه الله تعالى، لما خرج في طلب موسى وبني إسرائيل، وقيل غرق في بركة الغرندل المعروفة في التوراة باسم بحر سوف.

قال القضاعي: لما أغرق الله فرعون وقومه، صارت مصر ليس بها أحد من أشراف أهلها سوى العبيد والأجراء والنساء، فكانت المرأة تعتق عبدها وتتزوج به، والأخرى تتزوج بأجيرها. كان يشرطن عليهم ألا

يفعلوا شيئا إلا بإذنهن، وقد صارت من يومئذ هذه عادة عند القبط إلى اليوم، لا يبيع أحدهم ولا يشترى حتى يستأذن زوجته - والواقع أن أمر هذا معروف فى القانون المدنى أيام الفراعنة - ثم إن النساء اجتمع رأيهن على تولية امرأة منهن، يقال لها دلوكة، وكانت ذات عقل ومعرفة، وكان لها من العمر نحو مائة وستين سنة، فملكوها. وأنشأت دلوكة على أرض مصر حائطاً من أسوان إلى العريش، وحفظت قرى مصر وضياعها بذلك الحائط، وجعلت له حراساً، وجعلت عليه أجراساً من نحاس، يحركها الموكلون بها إذا أتاهم طارق يخافونه، فيسمعها من بالمدينة فيستعدون لقتالهم. وآثار هذا الحائط باقية إلى الآن بأعلى بلاد الصعيد، وتسمى حائط العجوز.

قال ابن عبد الحكم: إن دلوكة لما تولت على مصر، أرسلت خلف امرأة ساحرة يقال لها تدورة «تيودورة» وكانت ساحرة عظيمة، فعملت بربا من الحجارة فى

وسط منف، وجعلت لها أربعة أبواب بالجهات الأربع، وصورت بها في كل جهة صور الخيل والبغال والإبل والحمير والسفن والرجال. وقالت لدلوكة قد عملت لكم عملا يهلك به من أرادكم بسوء من بر أو بحر. فكان إذا قصد إليهم أحد من الملوك الجبابرة، وعجزوا عن قتاله، يدخلون في تلك البربا ويقطعون رءوس تلك الصور، أو يفقئون أعينهم، فمهما فعلوا في تلك الصور، يؤثر ذلك الفعل في عسكر الملك الذي يقصدهم. فامتنعت عنهم الملوك، ولم يقدروا على بلادهم في أيام دلوكة. وأقامت دلوكة في ملك مصر نحو ثلاثين ومائة سنة، ولم تزل مصر ممتنعة من العدو بتدبير تلك العجوز حتى هلكت، فلم يقدر أحد على إصلاح ما يفسد من تلك الصور.

قال المسعودي: لما هلكت دلوكة انتشأ من بعدها شخص من أولاد أشراف القبط يقال له دركون بن نكوطس، فوقع الاتفاق من الجند على توليته، فأقام في الملك مدة طويلة وهلك، فتولى من بعده شخص يقال له

مرنيوش، فأقام فى الملك مدة، وفى أيامه قدم بختنصر إلى مصر، وجرى منه ما جرى من إخراب مدنها وقراها ونهب أموالها وقتل رجالها وسبى نسائها، ولم يترك بها شيئا من الطلسمات والحكم، وأخرب غالب البرابى التى كانت مودعة بها تلك الحكم. فلما خرب بختنصر مصر ورحل عنها، أقامت بعد ذلك أربعين سنة خراباً ليس بها ساكن ولا متحرك، فكان نيلها إذا زاد ينفرش على الأرض ثم يهبط ولا يجد من يزرع عليه وينتفع. ثم بعد ذلك عمر مصر أخلاط من الأمم ما بين قبطي ويونانى وعمليقى، ولكن أكثرهم كانوا قبطاً، وأكثر من ملك مصر الغرباء. واستمر القبط على ملك مصر يتولونه واحداً بعد واحد، إلى آخر من تولى منهم وهو المقوقس.

وبذلك يسلمنا هذا التاريخ الأسطورى إلى ما نعرفه من وقائع الفتح العربى.

ولقد عجز المؤرخون فيما يبدو عن تقصى مصدر كل هذه الأساطير، وقال البارون كارادى فو، وهو

الذى ترجم إلى الفرنسية مخطوطة "مختصر العجائب"، التى نقلنا عنها الكثير مما أوردناه، بأن الغالب أنها كل ما بقى لدى الأقباط من تاريخ بلادهم.

وللمسعودى قصة فى "مروج الذهب" تؤيد كلام دى فو كل التأييد. قال إنه سمعها وهو فى مصر أيام الإخشيديين:

" وقد كان أحمد بن طولون بمصر بلغه، فى سنة نيف وستين ومائتين، أن رجلا بأعالى مصر من أرض الصعيد، له ثلاثون ومائة سنة، من الأقباط ممن يشار إليه بالعلم من لدى حداثته، والنظر والإشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل، وأنه علامة بمصر وأرضها برها وبحرها، وأخبارها وأخبار ملوكها، وأنه ممن سافر فى الأرض وتوسط الممالك، وشاهد الأمم من أنواع البيضان والسودان، وأنه ذو معرفة بهيئات الأفلاك والنجوم وأحكامها، فبعث أحمد بن طولون برجل من قواده فى

أصحابه، فحمله في النيل إليه مكرماً، وكان قد انفرد عن الناس في بنيان اتخذه وسكن في أعلاه، وقد رأى الرابع عشر من ولد ولده.

فلما مثل بحضرة أحمد بن طولون، نظر إلى رجل دلائل الهرم فيه بينة، وشواهد ما أتى عليه من الدهر ظاهرة، والحواس سليمة والقضية قائمة، والعقل صحيح، يفهم عن مخاطبه، ويحسن البيان والجواب عن نفسه. فأسكنه بعض مقاصيره، ومهد له، وحمل إليه لذيذ المآكل والمشارب، فأبى ألا يتوطأ على شيء، وألا يتغذى إلا بغذاء حمله معه من كعك وغيره وقال: هذه بنية قوامها بما ترون من الغذاء وهذا الملبس، فإن أنتم سمتموها النقلة عن هذه العادة، وتناول ما أوردتموه عليها من المآكل والمشارب والملابس، كان ذلك سبب انحلال هذه البنية، وتفريق هذه الصورة. فترك على ما كان عليه وما جرت به عادته. وأحضر له أحمد بن طولون من حضره من أهل الديار، وصرف همته عليه، وأخلى نفسه له في

ليال وأيام كثيرة، يسمع كلامه وإيراداته، وجواباته فيما سئل عنه. فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط.. قيل له فما منتهى النيل فى أعاليه، قال: البحيرة التى لا يدرك طولها وعرضها، وهى نحو الأرض التى الليل والنهار فيها يتساويان طول الدهر، وهى تحت الموضع الذى يسميه المنجمون "الفلك المستقيم"، وما ذكرت فمعروف غير منكر.

"وسئل عن بناة الأهرام فقال: إنها قبور الملوك، وكان الملك منهم، إذا مات، وضع في حوض حجارة يسمى بمصر والشام، الجرن، وأطبق عليه، ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الأساس، ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم، ثم يقنطر عليه البنيان والأقباء، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى ترونه، ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يحفر له طريق فى الأرض بعقد أزج، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع وأكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب يدخل منه على ما وصفت، فقيل له: فكيف بنيت

هذه الأهرام المملسة، وعلى أى شىء كانوا يصعدون ويبنون؟ وعلى أى شىء كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد إلا بجهد، إن قدروا؟ فقال: كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق كالدرج، فإذا فرغوا منه، نحتوه من فوق إلى أسفل، فهذه كانت حيلتهم، وكان مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم وديانة.

"فقيل له: ما بال هذه الكتابة التى على الأهرام والبرابى لا تقرأ؟ فقال: دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم، وتداول أرض مصر الأمم، فغلب على أهلها القلم الرومى، كأشكال أحرف القبط والروم بأحرفها، على حسب ما ولدوه من الكتابة بين الرومى والقبطى، فذهب عنهم كتابة آبائهم.

"فقيل له: فمن أول من سكن مصر؟ قال: أول من نزل هذه الأرض، مصر بن بيصر بن حام بن نوح ومر فى أنساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم فى الأرض.

" فقيل له: أتعرف فى مصر مقاطع رخام؟ قال: نعم فى الجبل الشرقى من الصعيد جبل رخام عظيم، كانت الأوائل تقطع منه العمد وغيرها، وكانوا يجلون ما عملوا بالرمل بعد النقر، فمنها العمد والقواعد والرؤوس التى تسميها أهل مصر الأسوانية، ومنها حجارة الطواحين، فتلك نقرها الأولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين، ومنها العمد التى بأسكندرية، والعمود بها الضخم الكبير، لا يعلم بالعالم عمود مثله، وقد رأيت فى جبل أسوان أخا لهذا العمود، قد هندس ونقر، ولم يفصل من الجبل، ولم يحك ما ظهر منه، وإنما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل، ثم يحمل إلى حيث يريد القوم.

" وكان هذا الرجل من أقباط مصر، ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية.. وأقام عند ابن طولون نحو سنة فأجازه وأعطاه، فأبى قبول شىء من ذلك، فرده إلى بلده مكرماً، وأقام بعد ذلك مدة من

الزمان، ثمّ هلك. وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرناه عنه، والله أعلم بكيفية ذلك".

هذه قصة لا شك في صحتها، ولست متأكداً إن كان الشيخ القبطى يقصد عمود السوارى بإسكندرية أم المسلة التى كانت قائمة قرب محطة الرمل، والتى كانت تعرف بمسلة كليوباترة. لأنه رأى فى أسوان أخا هذا العمود، وكلنا نعرف المسلة التى لم تفصل من صخرها بقرب أسوان، والتى ما تزال نرى بها كسراً، يظن بأنه كان السبب فى العدول عن استخراج تلك المسلة.

وقول المسعودى بأن للعجوز "مصنفات" معناه أن كانت لدى الأقباط كتب تحوى صفحات من التاريخ القديم، يختلط فيه الواقع بالأساطير.

والواضح أن ما بقى لنا من واقعها نذر يسير. أما الأساطير فهى التى طالعنا بعضها فى هذا الفصل. وإن ثقتى بأبى الحسن المسعودى، وإعجابى بتفكيره المنطقى السليم، وبأسلوبه العلمى، بقدر ما وعاه زمانه، تغرينى بأن أزعم أنى وضعت إصبعى فى هذه

القصة على مصدر من مصادر التاريخ الأسطورى لمصر. ولست أدعى أن يكون هذا الشيخ القبطى وحده هو مصدر ذلك التاريخ، وإنما هو واحد من أسلافنا المسيحيين الذين احتفظوا أباً عن جد، بأصداء تاريخنا القديم. إن ما جاء فى الكتب العربية تاريخاً لمصر الفرعونية - وقد درج أصحابها على أن ينقل بعضهم عن بعض دون تحرج - منقول عن الأحاديث التي كان يدلي بها أمثال ذلك الرجل.

قال المسعودي: "وأخبرني غير واحد من بلاد إخميم من صعيد مصر عن أبى الفيض ذى النون بن إبراهيم المصرى الإخميمى الزاهد، وكان حكيما، وكان له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها. وكان ممن يقرأ عن أخبار هذه البرابى، وزارها وامتحن كثيرا بما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال: رأيت في بعض البرابى كتابا تدبرته، فإذا فيه: "يقدر المقدور والقضاء يضحك". وزعم أنه رأى فى آخره كتابة، وتبينها في ذلك القلم الأول، فوجدها:

تدبر بالنجوم ولست تدرى ورب النجم يفعل ما يريد

" وكانت هذه الأمة، التي اتخذت هذه البرابى، لهجة بالنظر فى أحكام النجوم، مواظبة على معرفة أسرار الطبيعة، وكان عندها أن طوفاناً سيكون على الأرض.. فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها، فاتخذت هذه البرابى، واحدها بربا، ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة، وجعلت بنيانها نوعين: طيناً وحجراً، وفرزت ما يبنى بالطين، مما يبنى بالحجر، وقالت: إن كان هذا الطوفان ناراً استحجر ما يبنى بالطين وانحرق، وبقيت هذه العلوم. وإن كان الطوفان الوارد ماء، أذهب ما يبنى بالطين، ويبقى ما يبنى بالحجارة.

وإن كان الطوفان سيفا، بقى كلا النوعين، ما هو بالطين وما هو بالحجر، وهذا ما قيل، والله أعلم، كان قبل الطوفان. وإن الطوفان الذى كانوا يرقبونه لم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف، وكان سيفاً أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيتها، وملك نزل عليها، فأباد أهلها، ومصداق ذلك.. ما يوجد ببلاد مصر

وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض فى كهوف وغيران ونواويس، ومواضع كثيرة من الأرض، لا يدرى من أى الأمم هم، فلا النصارى تخبر عنهم أنهم من أسلافهم، ولا اليهود تقول عنهم إنهم من أوائلهم، ولا المسلمون يدرون من هم، ولا تاريخ ينبئ عن حالهم. عليهم أثوابهم، وكثيراً ما يوجد فى تلك الجبال والروابى من حليهم. والبرابى ببلاد مصر بنيان قائم عجيب، كالبربا الموجودة بأنصنا، والبربا التى ببلاد إخميم، والبربا التى ببلاد سمنود.. والأهرام وطولها عظيم، وبنيانها عجيب، عليها أنواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة، والممالك الدائرة، لا يدرى ما تلك الكتابة، ولا المراد بها.. وأن ذلك علوم وخواص، وسحر وأسرار للطبيعة."

قال المسعودى: "سألت جماعة من أقباط مصر بالصعيد، وغيره من بلاد مصر، من أهل الخبرة، عن تفسير فرعون، فلم يخبرونى عن معنى ذلك، ولا تحصل فى لغتهم، فيمكن ـ والله أعلم ـ أن هذا الاسم

كان سمة لملوك تلك الأعصار، وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية."

وعندما يسرد المسعودى التاريخ الأسطورى لمصر يبدأه بقوله: "ثم يحكى، عن جماعة من الشرعيين، أن بيصر بن حام بن نوح لما انفصل عن أرض بابل بولده، وكثير من أهل بيته، غرب نحو مصر، وكان له أولاد أربعة: مصر بن بيصر، وتوف بن بيصر، وساح، وباح. فنزل بموضع يقال له منف، وبذلك يسمى إلى وقتنا هذا.." ثم واصل قصة الملوك القدماء الذى حكموا مصر، من أمثال الريان بن الوليد، وطلما، والملكة دلوكة صاحبة حائط العجوز، بما لا يختلف كثيراً عما نقلناه عن كتاب "مختصر العجائب"، الذى ينسب إلى إبراهيم بن وصيف شاه ، ويظن البعض أنه منقول عن كتاب المسعودى المفقود، الذى يشير إليه كثيراً فى "مروج الذهب"، باسم "أخبار الزمان".

ناووس قفطاريم

وأمر قفطاريم فعمل له ناووس في الجبل الغربي قريب من مدينة العمد وقد كان عمل لنفسه قبة قبل موته في سرب تحت الأرض على هيئة الدار في سعة كثيرة، وعمل حول دورها خزاين واسعة منقورة في الجبل أيضاً، وجعل في سقوفها مسارب للريح، وبلطت مع السرب وجميع الدار بالمرمر، وجعل في وسط الدار مجلساً على ثمانية أركان مصفحاً بالزجاج الملون المسبوك، وجعل في سقفه جواهر وحجارة تسرج.

وفي كل ركن من أركان المجلس تمثال ذهب بيده كالبرق الذي يبرق، وعمل في وسط المجلس بركة مصفحة بالذهب، وعمل لها حواشي زبرجد.

وجعل في تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والتيجان والجواهر، وأواني الحكم وأصناف العقاقير ومن الطلسمات العجيبة، والمصاحف الحاوية لجميع العلوم ما لا يحصى قدره كثرة.

وجعل على باب المجلس صورة ديك من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر وهوناشر الجناحين مزبور عليه آيات عظام مانعة، وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس بأيديهما سيفان كالبرق وبين أيديهما بلاطة تحتها لوالب لابد من وطئها إذا أراد أن يدنو منها فإذا وطأها ضرباه بسيفهما فقتلاه وفي كل أزج كوة فيها لطوخ مدبرة تسرج وتضيء طول الزمان، وسدت أبواب الأزج بالأساطين المرصعة ورصوا على السقف البلاطات العظام، وردموا فوقها بالرمال.

وزبروا على باب الأزج الأول في حجر عظيم " هذا المدخل إلى جسد الملك العظيم المهيب الكريم قفطويم ذي الأيد والقوة والفخر والغلبة والقهر، حل هذا الموضع بجسده وبقي ذكره وعلمه فلا يوصل إليه، ولا يقدر عليه بحيلة إلا بعد مدد ودورات تمضي من السنين ".

أخبار الزمان لمجهول / ص ١٥٧ ـ ١٥٨

أشمون

كان أشمون أول من اتخذ الملاعب بالكرة والصولجان وغير ذلك، وبنى القصور وغرس الأجنة وأقام المناير ونصب الأعلام وبنى المدن وأكثر فيها من العجايب.

والقبط تزعم أن خبر أشمون كان أكثر الأخبار ذكراً وعجايب وسحراً. منها أنه بني مدينة فى سفح الجبل سماها أفطراطس وجعل لها أربعة أبواب جعل على الشرقي صورة عقاب، وعلى الغربي صورة ثور، وعلى الجنوبي صورة كلب، وعلى الشمال صورة أسد.

وأسكن الكهنة بسحرهم فى تلك الصور وكانت تنطق إذا قصدها القاصد الغريب ولا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها. وجعل فيها شجرة تثمر كل لون من الفاكهة.

وجعل فيها مناراً طوله ثمانون ذراعاً، على رأسه قبة تتلون كل يوم لوناً حتى تمضى سبعة أيام بسبعة ألوان. ثم تعود إلى اللون الأول.

وكانت تلك الألوان تكسوالمدينة لوناً شعاعياً، وأجرى حول ذلك المنار ماء ساقه من النيل، وجعل فى ذلك الماء سمكاً من كل لون.

وجعل حول المدينة طلسمات رءوسها رءوس القرود وأبدانها أبدان الناس كل منها لدفع مضرة واجتلاب منفعة.

ودفن تحت كل صنم من الأصنام المبنية الأربعة على أبوابها صنفاً من الكنوز ولكل واحد منها قربان وبخور وكلام يوصل به إليها، وأسكن فيها السحرة وبنى بالقرب منها مدينة تعرف فى كتبهم (ذات العجايب) فى وسطها قبة عليها سحابة تمطر مطراً خفيفاً شتاء وصيفاً، وتحت كل قبة مطهرة فيها ماء أخضر يتداوى به من كل داء فيبريه.

وفى شرقها بربا لطيف له أربعة أبواب لكل باب منها عضادتان، فى كل عضادة منه صورة وجه كأنه يخاطب صاحبه، وهو يكلمه بكلام يفهمه، ويخبره بما حدث فى يومه.

ومن دخل البربا على غير طهارة نفخا عليه فأصابته فظيعة (خضة) لا تفارقه أبداً إلى أن يموت.

ويقال إن فى وسطها مهبط نور كأنه عمود من اعتنقه لم يعزب عن نظره شىء من الروحانيات، وسمع كلامهم ورأى ما يعملون.

وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب فى يده كالمصحف فيه علم من العلوم، فمن أحب ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها بيده وأمرها على صدره فيثبت ذلك العلم فى صدره.

كتاب (أخبار الزمان) لمجهول / ص ١٧٤ ـ ١٧٦

★ أشمون Ashmoun مدينة قديمة منذ العصور الفرعونية.

أما عن المناطق الأثرية بمدينة أشمون فيوجد بها بقايا من الحصن الروماني. ومعظم قرى أشمون ترجع للعصر الفرعوني وبها آثار كانت من نصيب لصوص الآثار ولحق بتلالها الأثرية الإهمال من

كتل أبشاتي أو ما يعرف بكوم أوسيم والكوم الأحمر بطليا وأثار مهملة بطهواى والبرانية وغيرها الكثير. ونظرا لطبيعة الأرض الطينية الزراعية وسوء الصرف اهترعت الآثار بها.

أمسوس

وعمل «الملك سوريد» وسط المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبى كأنها ترضعه. فكل امرأة أصابتها علة في جسمها مست من جسد تلك الصورة الممثلة، فيزول عنها ما تجده على ما كان.

وكذلك إن قل. لبنها، مسحت وجهها بثديها فكثر، وكذلك إن أحبت أن تعطف عليها زوجها مسحت وجهها بدهن طيب، وقالت لها افعلى كذا وكذا، وإن قلت حيضتها وفرقت منه مسحت تحت ركبها، وإن أصاب ولدها شيء فعلت بالصبى كذلك فيبرأ، وإن عسرت ولادتها مسحت رأس الصبى فيسهل لها، وكذلك البكر يسهل عليها افتضاضها، وإذا وضعت

الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن فجورها، وما كان من أعمال الليل يحدث ليلاً، وما كان من النهار يحدث نهاراً، وكانت تعمل أعمالاً كثيرة إلى أن أزالها الطوفان، وفى بعض كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان، وإنهم استعملوها وعبدوها وصورتها فى جميع برابى مصر مصورة برسمها ملونة.

كتاب (أخبار الزمان) لمجهول / ص ١٣١ ـ ١٣٢

★ لعل الرواية السابقة وضعت تحت تأثير التماثيل الخاصة بإيزيس وهى تحمل طفلها حورس.. والرواية تعطي فكرة عن منطق السببية والتعليل فى العصور القديمة.

وقد اختلفت آراء العلماء بشأن ظاهرة التعليل باعتبارها سمة للأساطير؛ حيث ذهب فريق إلى أن التعليل ليس هو الخاصية المميزة للأساطير بينما ذهب فريق آخر إلى أن التفكير الأسطورى يتميز عن العالم النظرى بفكرته عن السببية. وأيا ما كان الأمر

فـإنه مما لا شك فيـه أن هناك نوعـا من الأسـاطيـر يرتكز في أسـاسـه على فكرة التـعليل. وتبـرز هذه الفكرة في العديد من الحكايات التعليلية أوالأساطير الأصلية والتي تؤصل مدناً قديمة شُيدت في الماضي البـعـيـد ومـاتزال قـائمـة إلى الآن. وحـول هـذه المدن القديمـة دارت موضـوعـات الموروث الشـعـبي في إطار خيالي يعكس مدى الانبهار والإعجاب بهذه المدن وإن احـتـوت على أخطاء مـعـرفـيـة واضـحـة. وقـد جـمـع المؤرخـون المسلمـون عـددا من الأسـاطيـر والروايات الخيالية حول هذه المدن. وعلى سبيل المثال (أمسوس) إذ قال المقريزي: (أول مدينة عُرف اسمها في أرض مصر (مدينة أمسوس) وقد محا الطوفان رسمها ولها أخبار معروفة، وبها كان ملك مصر قبل الطوفان، ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف، وكان بها ملك القبط والفراعنة إلى أن خربها بخت نصر، فلما قدم الإسكندر بن «فليبش» المقدوني من مملكة الروم، عمَّر مدينة إسكندرية عمارة جديدة وصارت

دار المملكة بمصر. إلى أن قَدِم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين فاختط الفسطاط وصارت مدينة مصر إلى أن قدم جوهر القائد بعسكر المعز لدين الله أبى تميم معه ملك مصر واختط القاهرة. وصارت القاهرة مدينة مصر إلى يومنا هذا.

وقد أورد المقريزى أيضا حكاية خيالية عن أن «مصر بن بيصر» قسم الأرض بين أولاده الخمسة وبناته الست.. ثم تكمل الروايات التاريخية المتأخرة شجرة النسب لباقى المدن المصرية فتقول: وقد خلفه ابنه «مصرايم» المولود بالعريش، فصار ملكا مستقلا عظيما ينفذ حكمه فى إسنا (أسن) وأسوان (أشوان) والسودان (سودان) حتى بلاد الفونج وعمد إلى إقليم مصر، فوزعها على الإخوة الثلاثين (وهو منهم) ثم بنى كل واحد منهم فى البلاد التى يحكمها مدينة عظيمة، ماتزال تسمى بأسماء أولاده، مثال ذلك أن

أحد أبنائه كان يدعى رشيد فبنى المدينة التى هى الآن بهذا الاسم، والآخر كان يدعى «دمياط» وثالث كان «إسكندر» وآخر تينبر «تينة»، وكذا «سيفه» الذى بنى مدينة بنى سويف، وآخر يدعى «مينة»، وكذا أشمون وأسيوط وجرجة وتنا «قنا» وقوس «قوص» وإسنه وأسوان «وصيانى» وحلفا «حلفة» وسنارة وسودان وغيره من أمثال هذه الأسماء التى كان يتسمى بها الأمراء الذين بنى كل واحد منهم مدينة ماتزال باقية على الدهر عامرة آهلة بالسكان فى شواطئ النيل حتى الآن.

يتضح من هذه الروايات الخيالية مدى تأثر الرواة بأنساب الجزيرة العربية وإطلاق أسمائهم على المدن التى وهبت لهم واحتازوها بعد الغزو مثل ما صارت منية ابن خصيب. هذا إلى جانب أن عدم القدرة على معرفة أسباب تسميات المدن المصرية القديمة جعل

الخيال يجنح إلى حد تصور أن هذه المدن قد اكتسبت أسماءها من أبناء «مصر بن بيصر بن حام بن نوح» الذى ينسب إليه اسم مصر. وفى هذا السياق يقول المسعودى عن مدينة «تَنِّيس» المندثرة: إن الذى بنى مدينة تنيس كانت امرأة تسمى تنيس وهى بنت صا بن تدارس أحد ملوك القبط فسميت تلك المدينة بها. وقد روى كثير من الإخباريين عن مدينة «أمسوس» التى جاءت معظمها مشابهة لرواية المقريزى مع بسط فى التفاصيل عن دور ملوك مصر القديمة المزعومين فى تطوير «أمسوس». فالمتتبع لتاريخ وسيرة «مدينة أمسوس» سيجد أنها مرتعا لخيالات الرواة وأخبارهم، إذ حملت تلك الأخبار ثمة رائحة من التاريخ الذى يصطبغ فيه بصبغة أسطورية وإن الزعم القائل بمحو الطوفان للمدينة شكل خلفية تتحرك عليها أفكار أسطورية مثل الطلسمات الصادقة والصور الناطقة.

مرآة سوريد الملك

وعمل سوريد مرآة من خلاط كثيرة، كان ينظر إليها فيرى الأقاليم، وما أخصب منها وما أجدب، وكل ما يحدث فيها وكانت على منارة من نحاس فى وسط مدينة أمسوس.

وتقول القبط إنه عملها لمصر خاصة، وكان يرى فيها جميع من يقصدها من كل ناحية، ويعلم بذلك جميع من يقصدها فكان يأخذ أهبته لذلك.

كتاب (أخبار الزمان) ص ١٧٦

أنصنا

«وبمصر» قرية يقال لها أنصنا لا يقربها تمساح بتة والناس منه آمنون فإن وقع منها إلى ذلك الموضع أيام المد (الفيضان) تمساح بقى منقلباً على ظهره حتى إن الصبيان يجتمعون عليه يغطونه فى الماء ويلعبون به فإذا جاوز هذه القرية عاد ضارياً على ما لم يزل عليه، وكذلك الحال فى فسطاط مصر من فوق الفسطاط بأميال إلى أسفل منه بأميال نحو عشرة

فـإنـهـا بين هـذين الموضـــعين لا تمر إلا منقلبـة على ظـهورها.

قال ابن الفقيه: أهل هذه المدينة مسخوا حجراً، فيها رجال ونساء مسخوا حجراً على أعمالهم: فالرجل نائم مع زوجته، والقصاب يقطع لحمه، والمرأة تخمر عجينها، والصبى فى المهد، والرغفان فى التنور كلها انقلبت حجراً صلداً.

القزوينى / آثار البلاد / ص ١٤٩

هل هناك تماثل بينها وبين المدينة التى دمرها بركان فيزوف بجنوب إيطاليا ؟.

قال ابن هشام:

أنصنا (بِالْفَتْح ثمَّ السّكُون وَكسر الصَّاد الْمُهْملَة وَبعدهَا النُّون مَقْصُورا): مَدِينَة من نواحى الصَّعِيد على شرقى النّيل، وَيُقَال إِنَّهَا كَانَت مَدِينَة السَّحَرَة

ينْسب إِلَيْهَا كثير من أهل الْعلم، منْهُم: أَبُو طَاهِر الحُسَيْن ابْن أَحْمد بن سُلَيْمَان بن هَاشم الأنصناوى المْعْرُوف بالطبرى.

قال المقريزى:

أعلم أن مدينة أنصنا إحدى مدائن صعيد مصر القديمة، وفيها عدّة عجائب، منها الملعب، ويقال: إنه كان مقياس النيل، وإنه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر، وكان كالطيلسان، وفى دائرة عُمد على عدّة أيام السنة الشمسية، كلها من الصوّان الأحمر الماتع، ومسافة ما بين كل عمودين، مقدار خطوة إنسان، وكان ماء النيل يدخل إلى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء، فإذا بلغ ماء النيل الحدّ الذى كان إذ ذاك يحصل منه رىّ أرض مصر وكفايتها، جلس الملك عند ذلك فى مشرف له، وصعد القوم من خواصه إلى رءوس الأعمدة المذكورة، فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت، ويتساقطون من الأعمدة إلى الملعب، وهو ممتلئ بالماء.

قال أبوعبيد البكريّ: أنصنا، بفتح أوّله وإسكان ثانيه بعده صاد مهملة مكسورة ونون وألف، كورة من كور مصر معروفة منها: كانت سريّة النبىّ - صلى الله عليه وسلم - أمّ ابنه إبراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه الكورة، ويقال: إن سحرة فرعون كانوا منها، وإنه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام.. ويقال: إنّ التمساح لا يضرّ بساحل أنصنا لطلاسم وضعت بها، وإنه إذا حاذى برّها انقلب على ظهره، حتى يجاوزها، ويقال: إنّ الذى بنى مدينة أنصنا أشمون بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح، وهى واقعة فى شرقىّ النيل، وكانت حسنة البساتين والمنتزهات كثيرة الثمار والفواكه، وهى الآن خراب.. وقال أبوحنيفة الدينورىّ: ولا ينبت البنج إلا بأنصنا، وهو عود ينشر منه ألواح للسفن، وربما أرعفت ناشرها، ويباع اللوح منها بخمسين ديناراً ونحوها، وإذا شدّ لوح منها بلوح، وطرح فى الماء ستة

أيام صارا لوحاً واحداً، وكان لأنصنا سُور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وجعل على كل مركب منحدر فى النيل، جزء من حمل صخره إلى القاهرة، فنقل بأسره إليها.

قال ابن الفقيه:

مدينة قديمة على شرقى النيل بأرض مصر. أهل هذه المدينة مسخوا حجرا فيها رجال ونساء مسخوا حجرا على أعمالهم فالرجل نائم مع زوجته، والقصّاب يقطّع لحمه، والمرأة تخمر عجينها، والصبىّ فى المهد، والرغفان فى التنور. كلها انقلبت حجرا صلدا.

قال البكرى:

مدينة أنصنا، وأكثرها اليوم خراب، وهى كانت مدينة السحرة وكان (بها أيضا بربى لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة حيطانه وأعلاه،

ومارية التى أهداها المقوقس الى رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – من كورة أنصنا من قرية يقال لها حفن، ومدينة أنصنا لا يقربها تمساح والناس منه آمنون هناك، وأكثر ما يكون عدوانا من الشاطئ الغربى الذى يحاذى أنصنا فى قرية يقال لها الأشمون، لا يقدر أحد أن يقرب من شاطئها، واذا كان التمساح فى حدّ أنصنا تحول على ظهره مستلقيا حتى يخرج منها، وكذلك يصنع من فسطاط مصر على نحو عشرة أميال حتى يخرج عن حدها بمثل ذلك.

قال البكرى الأندلسى:

بفتح أوّله وإسكان ثانيه، بعده صاد مهملة مكسورة، ونون وألف: كورة من كور مصر معروفة، منها كانت مارية سرّيّة النّبيّ – صلّى اللّه عليه وسلّم – أمّ ابنه إبراهيم، من قرية يقال لها حفن، من قرى هذه الكورة.

قال أدريسى :

هى مدينة قديمة البناء حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار غزيرة الخصب والفواكه وهى المدينة المشهورة بمدينة السحرة ومنها جلبهم فرعون فى يوم الموعد للقاء موسى النبى عليه السلام

وهناك بلاد صغار يكون بينها وبين النيل ميلان وأكثر وأقل ومنها النجاشية وهى قرية عامرة جامعة كثيرة الخصب والثمار ومنها مما يقابلها فى الغربى من النيل بلد يسمى منساوة لها نخل وزروع وضرع وبساتين وجنات ومنها مدينة طحا .

قال كاتب مراكشى :

مدينه أنصنا : وهى كانت مدينة السحرة فى زمن فرعون وأكثرها خراب. وكان بها أيضا بربى لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة. ويقال إن مارية القبطية التى أهداها المقوقس إلى النبى صلى الله عليه وسلم كانت من كورة أنصنا ، من قرية يقال لها حفن. ومدينة أنصنا لا يقربها التمساح

والناس منه آمنون هناك. وأكثر ما يكون التمساح عدوانا بالشاطئ الذى يقابل أنصنا فى قرية يقال لها الأشمون، لا يقدر أحد أن يقرب من شاطئها، فإذا صارت التماسيح فى حد أنصنا تحولت على ظهورها حتى تجاوز حدها، وكذلك تصنع بفسطاط مصر فوق المدينة بنحو ١٠ أميال حتى تخرج عن حد المدينة بمثل ذلك.

قال الهروى:

بلد السحرة به البربى والعمارة العجيبة والآثار الهائلة وكذلك مدينة الأشمونيين.

قال ابن جبير:

ومنها موضع يعرف بأنصنا مياسرا لنا، وهى قرية فسيحة جميلة بها آثار قديمة، وكانت فى السالف مدينة عتيقة، وكان لها سور عتيق هدمه صلاح الدين

وجعل على كل مركب منحدر فى النيل وظيفة من حمل صخرة إلى القاهرة، فنقل بأسره إليها.

وفى صبيحة يوم الاثنين الرابع عشر من محرم المذكور، وهوالتاسع من إقلاعنا من مصر، اجتزنا بالجبل المعروف بجبل المقلة وهو بالشط الشرقى من النيل مياسرا للصاعد فيه، وهو نصف الطريق إلى قوص، من مصر إليه ثلاثة عشر بريدا، ومنه إلى قوص مثلها.

ومما يجب ذكره على جهة التعجب أن من حيّز مصر فى شط النيل الشرقى مياسرا للصاعد فيه حائط متصل قديم البنيان، منه ما قد تهدم ومنه ما بقى أثره، يتمادى على الشط المذكور إلى أسوان آخر صعيد مصر، وبين أسوان وبين قوص ثمانية برد. والأقوال فى أمر هذا الحائط تتشعب وتختلف، وبالجملة فشأنه عجيب ولا يعلم سره إلا

الله عز وجل. وهو يعرف بحائط العجوز، ولها خبر مذكور.

قال ابن جبير: انصنا

وذلك إنّا لما حللنا إسكندرية فى الشهر المؤرخ أولا عاينا مجتمعا من الناس عظيما بروزا لمعاينة أسرى من الروم أدخلوا البلد راكبين على الجمال ووجوههم إلى أذنابها وحولهم الطبول والأبواق. فسألنا عن قصتهم، فأخبرنا بأمر تتفطر له الأكباد اشفاقا وجزعا. وذلك أن جملة من نصارى الشام اجتمعوا وأنشأوا مراكب فى أقرب المواضع التى لهم من بحر القلزم ثم حملوا أنقاضها على جمال العرب المجاورين لهم بكراء اتفقوا معهم عليه، فلما حصلوا بساحل البحر سمروا مراكبهم وأكملوا إنشاءها وتأليفها ودفعوها فى البحر وركبوها قاطعين بالحجاج، وانتهوا إلى بحر النعم فأحرقوا فيه نحو ستة عشر مركبا. وانتهوا إلى عيذاب فأخذوا فيها مركبا كان يأتى

بالحجاج من جدة، وأخذوا أيضا فى البر قافلة كبيرة تأتى من قوص إلى عيذاب، وقتلوا الجميع ولم يحيوا أحدا. وأخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن، وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة أعزهما الله، وأحدثوا حوادث شنيعة لم يسمع مثلها فى الإسلام، ولا انتهى رومى إلى ذلك الموضع قطّ.

ومن أعظمها حادثة تسد المسامع شناعة وبشاعة، وذلك أنهم كانوا عازمين على دخول مدينه الرسول، - صلى الله عليه وسلم - وإخراجه من الضريح المقدس أشاعوا ذلك وأجروا ذكره على ألسنتهم. فأخذهم الله باجترائهم عليه وتعاطيهم ما تحول عناية القدر بينهم وبينه. ولم يكن بينهم وبين المدينة أكثر من مسيرة يوم. فدفع الله عاديتهم بمراكب عمرت من مصر وإسكندرية دخل فيها الحاجب المعروف بلؤلؤ مع أنجاد المغاربة البحريين. فلحقوا العدو وهو قد قارب النجاة بنفسه فأخذوا عن آخرهم. وكانت آية من آيات

العنايات الجبارية، وأدركوهم عن مدة طويلة كانت بينهم من الزمان نيف على شهر ونصف أو حوله. وقتلوا وأسروا، وفرق من الأسارى على البلاد ليقتلوا بها، ووجه منهم إلى مكة والمدينة. وكفى الله بجميل صنعه الإسلام والمسلمين أمرا عظيما، والحمد لله رب العالمين.

قال ياقوت الحموى:

أنصنا: بالفتح ثم السكون، وكسر الصاد المهملة، والنون مقصور: مدينة أزلية من نواحى الصعيد على شرقى النيل، قال ابن الفقيه: وفى مصر فى بعض رساتيقها وهو الذى يقال له أنصنا: قرية كلّهم مسوخ، منهم رجل يجامع امرأته حجر وامرأة تعجن وغير ذلك، وفيها برابى وآثار كثيرة نذكرها فى البرابى، قال المنجمون: مدينة أنصنا طولها إحدى وستون درجة فى الإقليم الثالث، وطالعها تسع عشرة درجة من الجدى تحت ثلاث درجات من السرطان،

يقابلها مثلها من الجدى، ببيت حياتها ثلاث درج من الحمل،بيت عاقبتها ثلاث درج من الميزان، وقال أبوحنيفة الدينورى: ولا ينبت اللّبخ إلا بأنصنا، وهوعود تنشر منه الألواح للسّفن، وربما أرعف ناشرها، ويباع اللّوح منها بخمسين دينارا ونحوها، وإذا اشتدّ منها لوح بلوح وطرح فى الماء سنة التأما وصارا لوحا واحدا، هذا آخر كلامه، وقد رأيت أنا اللبخ بمصر وهو شجر له ثمر يشبه البلح فى لونه وشكله ويقرب طعمه من طعمه وهو كثير ينبت فى جميع نواحى مصر، وينسب إلى أنصنا قوم من أهل العلم، منهم: أبو طاهر الحسين بن أحمد بن حيّون الأنصناوى مولى خولان، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سليمان بن هاشم الأنصناوى المعروف بالطبرى، روى عن أبى عليّ هارون بن عبد العزيز الأنبارى المعروف بالأوارجى، روى عنه أبوعبد الله محمد بن الحسن بن عمر الناقد بمصر.

قال عبد المؤمن البغدادى:

بالفتح، ثم السكون، وكسر الصاد المهملة، والنون، مقصورة: مدينة أزليّة بصعيد مصر فيها برابى وآبار كثيرة.

قال الحميرى:

مدينة فى البلاد المصرية قديمة شرقىّ النيل وهى حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار والفواكة، ويقال إن سحرة فرعون كانوا منها وجلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السّلام؛ ويقال إن التمساح لا يضر بعدوة أنصنا، ويقال إنها مطلسمة وإنها بها بقية من السحر.

وحكى ابن هشام أن مارية سرية النبى - صلّى اللّه عليه وسلّم - التى أهداها له المقوقس صاحب إسكندرية منها من حفن من كورة أنصنا.

وأكثرها الآن خراب، وكان بها بربى لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة؛ وقيل إن مرسى أنصنا لا يقربها التمساح والناس منه آمنون

هنالك وأكثر ما يكون عدواتا بالشاطئ الذى يقابل أنصنا فإذا صارت التماسيح فى حد أنصنا تحولت على ظهرها حتى تجاوز حدها وكذلك تصنع بفسطاط مصر فوق المدينة بعشرة أميال حتى تخرج من حد المدينة بمثل ذلك.

قال محمد بن على البروسوى:

بفتح الألف وسكون النّون وكسر الصّاد المهملة ثمّ نون ثانية وألف، بلدة من الثّالث من الصعيد الأوسط على شطّ النيل من البرّ الشّرقى قبالة الأشمونين من البرّ الآخر، وبها مزدرع كثير وآثار عظيمة أوّلية. قال الإدريسى: أنصنا مدينة قديمة البناء كثيرة الثمار غزيرة الخصب، وهى المدينة المشهورة بمدينة السحرة، ومنها جلبهم فرعون.

قال البلادى الحربى:

كورةٌ من مصر فى الصّعيد شرقىّ النّيل، خرّجت علماء نسبوا إليها، جاءت مقرونةً مع حفنٍ فى النّصّ،

المصادر:

- ابن هشام، سيرة ابن هشام، مجلد١ ، ص ١٩ .

- المقـريزي ، المواعظ والاعـتـبـار، مـجلد ١ ، ص ٧٥٢ .

- ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٧٢١ .

- بكري ، عبدالله بن عبدالعزيز، المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٦١٧ و,٦١٨

- البكري الأندلسي ، مـعجم ما استـعجم من أسـماء البلاد والمواضع ، مجلد ١ ، ص ٩٩١ .

- الإدريسي ، نزهة المشـتـاق في اخـتـراق الآفـاق ، مجلد ١ ، ص ٤٢١ .

- كاتب مـراكشي ، الاستبصار في عجائـب الأمصار، ص ٥٨ .

- الهـروى ، الإشـارات إلـى المعـرفـة الزيـارات ، ص ٤٤ .

- ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٠٣- ٣٢
ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد ١، ص ٥٦٢م.

- قزويني آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٩٤١.

- عبد المومن البغدادي، مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، مجلد ١، ص ٤٢١..

- أبوعبدالله عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٤٠.

- بروسوي، أوضح المسالك إلي معرفة البلدان والممالك، ص ١٧٤.

- محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٣٣.

- البلادي الحربي، معجم المعالم الجغرافيّة في السيرة النبوية، ص ٣٣.

دير سانته العذرا

كنيسة فى بعض قرى مصر، وقد شاهدها الموثوق بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهتهم التمويه عليهم ومنهم، فزعموا أن فيها سردابا ينزل إليه بنيف وعشرين مرقاة وفيه سرير تحته رجل وصبى مشدودان فى نطع وفوقه تنور رخام فى جوفه باطية زجاج داخلها فتيلة نحاسية فى جوفها فتيلة كتان تتوقد فيصب فيها زيت فلا يلبث أن تمتلئ الباطية الزجاجية زيتاً ويفيض إلى التنور الرخام فينفق ذلك على الكنيسة.

وذكر الجيهانى أنه صار إليه من وثق به ورفع الباطية عن التنور وأفرغ الزيت عن الباطية والتنور جميعاً وأطفأ النار وأعادها جميعاً إلا الزيت «فإنه» صب زيتاً من عنده وأبدله فتيلة أخرى

وأشعلها فما لبث أن فاض الزيت إلى الباطية الزجاجية ثم فاض إلى التنور الرخام من غير مادة ظاهرة ولا عنصر. وذكر أنه إذا أخرج الميت من تحت السرير انطفأت النار ولم يفض الزيت، وذكر عن أهل تلك القرية أن المرأة المتوهمة فى نفسها حبلاً تحمل ذلك الصبى الميت وتضعه فى حجرها فيتحرك ولدها فى البطن إن كان للحبل حقيقة أو تيأس إن لم تحس بحركة.

البيرونى / الآثار الباقية

البربا

وفى البربا حوض من صوان أسود على ماء لا ينقص مدى الدهر، ولا يتغير بما اجتلب إليه من رطوبة الهواء والماء. وكان أهل تلك الناحية، وأهل تلك المدينة يشربون وينفقون منه، ولا ينقص ماؤه، ذلك لبعدهم من النيل وقربهم من البحر المالح.

وذكر بعض كهنة مصر أن ذلك إنما تم لقربهم من البحر المالح لأن الشمس فيما ذكروا يرتفع نحوها بخار البحر وعذوبة ما فيه.

فحبس من البخار جزء بالهندسة وبالطلسمات السحرية، ينحط في ذلك الحوض، ويمده الهواء برطوبته فلا ينقص ماؤه على الدهر، ولو شرب منه العالم.

أخبار الزمان لمجهول / ص ١٦٢

★ قرية البربا هى إحدى القرى التابعة لمركز جرجا بمحافظة سوهاج. التابعة لمركز صدفا فى محافظة أسيوط. هى إحدى القرى التابعة لمركز أبوقرقاص بمحافظة المنيا.

وهى ثالث قرية فى الصعيد تسمى بالبربا .. الأولى فى أسيوط تتبع مركز "صدفا" والثانية فى المنيا..

وقـــد أطلق كل المؤرخين المسلمين الأوائل.. لفظ البربا على كل المعابد والآثار الفرعونية الضخمة..

ويؤكد أهالى "بربا جرجا" أنها مسقط رأس الملك مينا.. وإن كانت لاتوجد آثار مكتشفة حتى الآن تؤكد ذلك.. إلا أنهم يؤكدون أن أرض قريتهم مليئة بالآثار والأسرار.. فهم إذا ماحفروا فى الأرض لعمق مترين فقط، ظهرت لهم أوانٍ فخارية قديمة.. ووجدوا رمالا بيضاء ناعمة.. بل يؤكدون أنهم رأوا رأى العين.. إناء من الذهب ظهر أثناء حفر خطوط التليفونات فى القرية.. ولأن العمال غرباء ولايعرفون أن فى أرض القرية كنوزا مرصودة.. فقد أعلنوا مذهولين عن اكتشافهم وعندما تجمع الناس ورأوه تحول إلى حبيبات مثل العدس.. ويقسمون أن أحد أهالى القرية مازال يحتفظ بها.

ويؤكدون أيضا.. أن شوارع قريتهم كانت قديما مليئة بالأحجار المنقوشة بنقوش فرعونية أو روحانية..

لكن منذ عشر سنوات تقريبا.. اختفت هذه الأحجار بصورة مفاجئة ولايعرفون حتى الآن كيف اختفت..

لكن هناك فى شرق القرية مساحة فدان ونصف حددتها هيئة الآثار.. كموقع أثرى سيتم التنقيب فيه.. ولا يعرف الأهالى متى ولا كيف.. لأن المنطقة عامرة بالبيوت القديمة بل والتى تم تحديثها بالبناء المسلح تقع فى نفس الموقع..

ويؤكدون أيضا.. أن أسفل قريتهم سراديب تمتد حتى مدينة جرجا وعلى بعد حوالى ٢٠ كيلومترا «قالوا إن الأقباط أوالفراعنة نفذوها للهروب من الرومان».

وأكد كثير من أهالى القرية.. أن معظمهم إذا ماحفر لأساس بيت، يكتشف آبارا أو غرفا غريبة.. يتم ردمها فورا حتى لايقعوا فى مشاكل

مع الآثار ويخسروا بيوتهم التى ورثوها عن الأجداد.

وفى شرق القرية.. تقع كنيسة مارى يوحنا .. يقدم ناظرها شهدى بطرس واصف.. تفسيرا لوجودها وبنائها منذ عام ١٨٨٠ أن جدوده المسيحيين جاءوا للمنطقة ووجدوا بها تلالا من "الأسباخ" قاموا ببيعها للمزارعين فى المنطقة ومن أموالها أقاموا الكنيسة .. التى جددت عام ١٩١٠ ويتم تجديدها حاليا.. وهى عبارة عن مبنى على هيئة منزل .. به ثلاث قاعات وله شرفات داخلية خشبية تطل على الكنيسة من الداخل .. ويجاورها حاليا مبنى حديث للرهبان.. ويحيط به مزرعة صغيرة..

قال البعض إن موقع الكنيسة.. كان فى الأصل معبد فرعونى بدليل وجود أحواض رخامية فى مزرعته

تم ردمها.. لكن المقدس شهدى.. أكد أنها أحواض تعميد مسيحية قديمة لم تعد تستخدم الآن..

ولعل تفسير المقدس بشاى.. يتفق مع رأى بعض الأثريين فى سوهاج .. من أن المبانى فى عصر الأسر الفرعونية الأولى كانت تنفذ بالطوب اللبن.. وبهذا يمكن مع الزمن والفيضانات والإهمال أن تتهدم لتعود لأصولها الأولى.. أى طين.. أو أكوام من الطين.. وهو لا يختلف كثيرا عن الرأى الذى يرى أنه عاصمة مينا.. هى قرية "الطينة" الواقعة فى المنطقة ما بين جرجا والبلينا.. والتى أخذت اسمها من كتل الطين التى كانت موجودة بها ومايزال بعضها موجودا حتى الآن ويظهر أسفله عند البحث أوانٍ فخارية وإن لم تتم حفائر أثرية قوية فيها حتى الآن..

ويرى بعض الأثريين أن عاصمة مينا قد تكون العرابة المدفونة في منطقة أبيدوس في البلينا.

وتقع قرية البربا.. حاليا.. غرب النيل.. وهو ما يختلف مع التصميم الفرعوني الأساسي .. بأن تقام المدن في شرق النيل والمدافن في غربه حيث تغرب الشمس وتذهب للعالم الآخر.. لكن هناك رأيا جيولوجيا.. يقول إن النيل، ينقسم في مساره إلى فرعين غربي وشرقي .. وغالبا مايطمس في فرعه الغربي.. وكان الفراعنة وبعدهم الأقباط .. يقيمون مدنهم ومعابدهم على النيل.. وعندما يردم الفرع الغربي.. تبتعد هذه المباني في الصحراء غربا..

وكذا قد تكون البربا قديما في شرق النيل.. لكنه بالزمن غير النيل مساره فأصبحت في الغرب..

وأكد بعض الأهالي ذلك بوجود جبانة فرعونية قديمة.. يسميها الأثريون مصطبة بيت خلاف.. وهى تقع على بعد ١٠ كيلو مترات فى غرب قرية البربا.. وقد زرتها فعلا.. لأجدها فى أقصى غرب المنطقة الزراعية تطل على عمق الصحراء الغربية كتلة ضخمة من الطوب اللبن.. أشبه بقبضة ضخمة فى مواجهة المجهول درت حولها وصعدت حتى أعلاها فلم أستطع تحديد معالمها كجبانة أو قلعة دفاعية.. فهى مبنى مختلف تماما.. وتذكر المراجع الأثرية أنها المحاولة الأولى لبناء أهرامات والتى تحققت بعد ذلك فى أهرامات الجيزة.

البربا.. حاليا.. قرية مصرية صعيدية عادية.. مبانيها قديمة يتخللها مبان حديثة.. شوارعها الرئيسية مرصوفة.. ولأهلها كل عادات وتقاليد الصعيد.

دير الطير

بأرض مصر على شاطئ النيل، بقرب الجبل المعروف بجبل الكف، وفي هذا الجبل شق، فإذا كان يوم عيد هذا الدير يأتي صنف من الطير يقال له بوقير، لم يبق منها واحد إلا جاء ذلك الشق، ويشتد عنده صياحها. ولا يزال الواحد يجعل رأسه في ذلك الشق ويصيح إلى أن يتشبث رأس أحدها بالشق فيضطرب حتى يموت، وعند ذلك تنصرف البقية إلى السنة المقبلة، ولا يبقى هناك منها طائر، هكذا ذكر الشابشتي، وهذا دليل الخصب فى تلك السنة، وربما تشبث على طيرين فيكون الخصب بالغاً جداً.

القزويني / آثار البلاد / ص ١٩٧

★ على بعد ١٢ كيلومترا شرق النيل بسمالوط يقع دير جبل الطير وبه كنيسة محفورة فى حضن الجبل في مغارة اختبأت فيها العائلة المقدسة وقت هروبها إلى مصر.. وتعود الكنيسة إلى القرن الرابع الميلادى وقد بنتها الملكة هيلانة وهى

والدة قسطنطين الأول. ومن يومها والكنيسة مزار الملايين.

وترجع قصة الدير عندما وصلت العائلة المقدسة إلى قرية دير الجرنوس، غرب قرية أشنين النصارى بمركز مغاغة، ثم توجهت إلى منطقة جبل الطير لتستقر بها لمدة ثلاثة أيام مليئة بالأحزان والمتاعب والمطاردة.

والكنيسة تقع على جبل معروف بين الناس باسم جبل الكف حيث إن التقليد القبطى يقول إن وقت مرور العائلة المقدسة كادت صخرة تقع فسندها الطفل يسوع بيده.. كما أن الجبل معروف بجبل الطير وذلك لأنه كان موطن هجرة آلاف الطيور البيضاء الهاربة من شتاء أوروبا.

أبرز مزارات الدير الكنيسة الأثرية والمكتبة والمغارة، التى اختبأ بها الطفل يسوع والسيدة مريم البتول ويوسف النجار، وجبل الكف والفرن والماجور.

" الماجور المصنوع من الفخار كانت تستخدمه العائلة المقدسة لعجن دقيق الخبز، ولذلك يحرص الزوار على وضع النذور داخله أملا فى الحصول على البركة وزيادة الرزق والشفاء من العلات والأمراض".

وبجوار الكنيسة توجد مكتبة الدير التى تضم الآلاف من الكتب الدينية والتاريخية القيّمة".

ولكى تصل للكنيسة هناك سلم من حوالى ١٢٧ سلمة ورغم وجود طريق للسيارات إلى فوق الآن إلا أن الكثير من الأقباط يفضلون الصعود على السلم للوصول لكنيسة الست العدرا.. بل إن البعض يفضل أن يروح الدير ماشياً من بلده.. والشوارع هناك على أسماء القديسين.. وكان لبعض الأقباط بيوت فى تلك البلد يسكنوها فقط وقت المولد أو عند الزيارة للكنيسة المقدسة.

وتستمر الاحتفالات أسبوعا تنتهى بعيد الصعود.. ويقيم الزوار طيلة الأسبوع فى ضيافة أم المخلص.

ولا تستطيع أن تفرق بين الزوار الأقباط والمسلمين الذين اعتادوا على التبرك بالست العدرا.

مولد العذراء في جبل الطير

يأتى الأقباط إلى جبل الدير من كل مكان فى مصر.

ويعتبر نهر النيل هو الطريق الوحيد للجبل الذى يقع شرق النيل.

ويمضون الوقت فى الغناء ومدح العدرا.

ثم يزورون ويتباركون.. ويقدمون النذور.. من فلوس وذبائح وربما حلق دهب أو خاتم.

ويعمدون الأطفال.

وترى مجموعات تسير ترنم وتغنى فى طريقها لأم النور:

على دير العدرا ودينى

زاد فرحى والرب داعينى

يا شفيعة يا أم الديان

أمدح فيكِ بصوت رنان

تدعينى وأنا أجيكِ فرحان

يا ريس ودينى للعدرا

وأنا أديلك من ندرى شمعة

على دير العدرا ودينى

ويغنوا:

يا عتبة العدرا يا محلا عتبها

افتحوا للزايرة تنصر ولدها

يا عتبة العدرا يا محلا هواها

افتحوا للزايرة تنصر ضناها

(والتنصير هو سر المعمودية..)

وربما التفوا حول واحد يمدح فى أم النور ويرددون معه:

جنينة خضرا وجالها الزهر بشرها

العدرا نايمة وجالها ملاك الرب بشرها..

مدينة الشمس

زعم طمياث الحكيم فى كتاب له فى الحيوان أن فى المشرق طيراً يقال له بنجس (فينكس) فى مدينة يقال لها مدينة الشمس ليس له أنثى ولا شكل فى فعله وأهل المدينة يعبدون الشمس وتسمى المدينة أغفطوس (اجيبتوس) قال فيطير هذا الطائر فيجمع بمنقاره عيدان الدار صينى (القرفة) ثم يضطرب عليها بجناحيه حتى يشعل ناراً من تلك العيدان فتأكله حتى يصير رماداً ثم ينشأ من ذلك الرماد دودة فلا تزال تنمي وتزيد حتى تكون طيراً كما كان وذلك فى خمسمائة عام.

ابن الفقيه / كتاب البلدان / ص ٢٠٧

★ أون هى مدينة الشمس بالمصرية القديمة أو بالإغريقية هليوبوليس كما اسماها اليونانيون وتقع فى ضاحية مصر الجديدة بشمال شرق القاهرة حيث تقف مسلة من الجرانيت الأحمر خلف المنازل، وهى

المعلم الوحيد الظاهر من مدينة عمرها سبعة آلاف سنة.

ومدينة أون كانت مركز تقديس الشمس وهى مدفونة تحت ضاحية عين شمس ومنطقة المطرية القريبة منها، ففى غرب عين شمس حيث تقع معابد مدينة أون يجرى التنقيب فى منطقة تبلغ مساحتها ٢٦٨٠٠ متر مربع، وتضم أثاراً ومعابد ومكتبات للفلسفة وعلوم الفلك والرياضيات.

ووفقا للمعتقدات المصرية القديمة تقوم المدينة على الموقع الذى بدأت فيه الحياة، تسجل عصور العديد من الأسر وتعطى صورة أوضح لمدينة أون من الصورة التى أظهرتها المقابر التى عثر عليها فى شرق عين شمس والتى لا تشير سوى إلى من أقاموها، حيث عثر على كنوز عديدة يجرى ترميمها مثل مقبرة كاهن من الأسرة السادسة والعشرين (ما بين عامى ٦٦٤ و٥٢٥ق م) أو يجرى ردمها إذا وجدت

فى حالة غير قابلة للإصلاح، والموقع أرض غير مستوية تتناثر فوقها التوابيت الحجرية المحطمة.

يرجع تاريخ المدينة إلى أيام الأسرة الأولى، إذ كانت عاصمة المملكة، بل لعلها أنشئت فيما قبل التاريخ. ومن الأسرة الثالثة إلى الأسرة السادسة، انتقل كرسى الحكم منها إلى ممفيس، وفى الأسرة الثانية عشرة إلى ديوسبوليس (الفيوم). وخلال كل هذه التغيرات احتفظت أون بأهميتها الدينية، فقد كان بها الهيكل العظيم فى زمن نصوص الهرم -أقدم النصوص الدينية المصرية- ومن الاستدلال بالمكانة العظيمة الواضحة لهيكل أون عند كتابة تلك النصوص، نرى أن المدينة ترجع -بلا شك- إلى تاريخ سابق بوقت طويل، فأسطورة أوزوريس تقول إن حادثة قتل "سيت" لأوزوريس حدثت فى هليوبوليس (برستيد -فى كتابة: تطور الديانة والفكر فى مصر- الفصل الأول: ٣٤)، وهذا معناه أن الهيكل فى أون كان أقدم من ذلك، وكان يشتمل على معبد للشمس

باسم "رع" (الشمس) وأيضًا "أتوم" (غروب الشمس)، كما كانت هناك "قاعة العنقاء" وشيء مقدس اسمه "بن" من حجر - على الأرجح - وأصل كلمة "أون" هو حجر أو عمود.

ومع أن ملوك الأسرة الثانية عشرة قد نقلوا العاصمة إلى "ديوسبوليس" فإن أوسرتسن الأول (سنوسرت الأول)، أحد ملوك تلك الأسرة، أقام مسلة عظيمة فى أون أمام مدخل المعبد، وما زالت قائمة إلى اليوم. ويبين موقع هذه المسلة فى منطقة المعبد، أن طول المعبد كان يزيد على نصف الميل فى عهد الأسرة الثانية عشرة. والمسلة المقابلة لهذه المسلة، فى الجانب الآخر للمدخل، يبدو أنها لم تشيد إلا فى زمن الأسرة الثامنة عشرة، وقد اكتشف "بترى" أساساتها فى ١٩١٢ م.، وبعض القطع الجرانيتية الصغيرة من المسلة تحمل نقوشًا باسم تحتمس الثالث. كما اكتشف "بترى" أيضًا فى نفس السنة (١٩١٢م) سور الهكسوس العظيم، وهو يشبه الحصن الموجود فى تل

اليهودية على بعد أربعة أميال شمالاً، مما يجعل من المؤكد تمامًا أن هؤلاء الغزاة -فيما بين الدولتين القديمة والحديثة- قد حصنوا "أون" باعتبارها العاصمة مرة أخرى.

وبدأ مرنبتاح في السنة الخامسة من ملكه في تحصين "أون". وأطلق شيشنق الثالث على نفسه لقب "أمير أون الإلهي"، ويبدو أنه قد جعل من "أون" واحدة من أعظم المعابد في زمن حكمه الطويل. وقد ظهرت أون مرة أخرى في تاريخ مصر، في ثورة ضد أشور بانيبال، وقد هجرت المدينة عند الغزو الفارسي في ٥٢٥ ق.م. ويقول التقليد إن يوسف ومريم عند مجيئهما إلى مصر أقاما مع الطفل يسوع بالقرب من هليوبوليس.

وقد حاول شيباريللي التنقيب عن أون ولكنه لم يستكمل العمل ولم ينشر أبحاثه، وفي عام ١٩١٢ بدأ "بتري" عملاً منظمًا، فكشف عن سور الهكسوس الحصين، ومازال التنقيب جاريًا في المكان ولابد أنه سيسفر عن اكتشافات ثمينة.

كانت هذه المنطقة تعرف قديمًا باسم "إيون"، وهى من بين المدن المصرية التى نالت شهرة واسعة على امتداد التاريخ المصرى القديم، وطوال العصر اليونانى، على اعتبار أنها كانت مركزًا رئيسيًا لعبادة الشمس ومنها خرجت إحدى نظريات خلق الكون فى الفكر الدينى المصرى وهى نظرية التاسوع. عرفت المدينة فى النصوص اليونانية باسم "هليوبوليس"، أى "مدينة الشمس"، وأصبحت فى المصرية الحالية "عين شمس"، وربما كانت كلمة "عين" تحريفًا لكلمة "إيون".

تتبع المدينة الإقليم ١٣ من أقاليم مصر السفلى. شهدت إحدى محاولات الوجه البحرى لتوحيد قطرى مصر، قبل المحاولة التى نجحت فى عهد الملك "نعرمر" من الصعيد.

وتدل بعض الشواهد الأثرية والدراسات المقارنة على أن المدينة كانت معاصرة لحضارتى نقادة الأولى والثانية، وحضارة المعادى. كما تم الكشف عن أطلال مقابر تؤرخ للأسرتين الأولى والثانية. ومع بداية

الأسرة الثالثة، أبدى الملك "زوسر" اهتمامًا كبيرًا بالمدينة، وحمل مهندسه "إيمحتب" لقباً رئيسياً من ألقاب كهنة هليوبوليس، وهو"كبير الناظرين للسماء"، ويرتبط هذا اللقب برصد حركة الكواكب والنجوم.. وتابع ملوك مصر في الدولة القديمة، وكذلك في الدولة الوسطى، الاهتمام بهذه المدينة، فقد شيد الملك أمنمحات الأول (أول ملوك الأسرة) ١٢ معبدًا لإله الشمس، وأقام أمامه ابنه "سنوسرت الأول" مسلتين من الجرانيت، لا تزال إحداهما قائمة حتى الآن في منطقة المطرية.

وازداد اهتمام ملوك الدولة الحديثة بالمدينة، حيث شيدوا العديد من المعابد والمقاصير للآلهة، وخصوصاً في عهود "تحتمس الثالث" و"أمنحتب الثالث" و"رعمسيس الثاني" و"رعمسيس التاسع". وفي العصور المتأخرة أقام الملك "بسماتيك الأول" (أسرة ٢٦) تماثيل لأبي الهول، وأكثر من مسلة. كما زارالملك "بعنخي" أحد ملوك الأسرة الخامسة والعشرين المدينة وقدم القرابين لآلهتها. وأبدى

الإغريق اهتمامًا كبيرًا بالمدينة عندما وفدوا إلى مصر، ودرس بعض فلاسفتهم وأدبائهم فى المراكز العلمية فى هذه المدينة.

ورغم ما أصاب المدينة من دمار عبر العصور المختلفة (نتيجة للغزوات الأجنبية وللزحف العمرانى، وغيره من الأنشطة البشرية، مما أدى إلى ضياع الكثير من معالمها)، إلا أنها لا تزال تحتفظ بأطلال بعض المنشآت، والتى من بينها أسوار المدينة المشيدة بالطوب اللبن والمستطيلة الشكل، وكانت هذه الأسوار تتضمن أكثر من بوابة، تقع الرئيسية منها فى الجزء الجنوبى الغربى للمدينة، وكانت ترسوا عندها السفن القادمة عبر أحد فروع النيل.

وعثر داخل الأسوار على بعض منازل للكهنة، وعدد من الآبار التى استخدمت فى تخزين المياه، وأطلال بعض المعابد التى شيدت فى عصر الدولة الحديثة، ونصب تذكارى يشبه العمود من عهد الملك "مرينتاح"، سجلت عليه بعض المناظر التى تمثل "مرنبتاح" وهو يقدم القرابين للإله رع، وغيره من

الآلهة. كما عثر على أطلال مصانع لصنع الزجاج والفخار والعطور، وأفران لإعداد الخبز. كما عثر في الجزء الشمالي الغربي على البوابة الصغرى لمعبد "رعمسيس الثانى"، وعثر كذلك على مقصورة صغيرة من الحجر الجيرى لا تزال تحتفظ ببعض الألوان، وتحمل اسم أحد كبار كهنة الإله رع. وقد عثر فى السنوات الأخيرة على جبانة تابعة للمدينة، وتقع شرق السور الشرقى للمدينة والسور الجنوبى، وضمت الجبانة بعض المقابر، منها مقبرة شخص يدعى "با نحسى"، "حامل أختام الوجه البحرى"، وربما تؤرخ للأسرة ٢٦.

وقبل أن نترك مدينة "إيون"، نرى لزامًا علينا أن نشير إلى مزار دينى في منطقة المطرية يكتسب أهمية خاصة لأنه يرتبط برحلة العائلة المقدسة إلى مصر، وأقصد بستان شجرة البلسان، والبئر، وشجرة العذراء مريم. أما بستان البلسان، فتذكر بعض المصادر أنه عندما وصلت العائلة المقدسة إلى المطرية، كانت بيد يوسف النجار عصا يؤدب بها "سيدنا

عيسى" عليه السلام، ثم أعطاها له يوسف، فأشار المسيح لأمه قائلاً: "سيطول بنا المقام هنا لفترة".

ثم أخذ السيد المسيح العصا، وقطعها إلى أجزاء صغيرة وزرعها في الأرض، وحفر بيديه المقدستين بئراً، فخرجت منه المياه العذبة حيث سقى بها عيسى قطع العصا فأينعت في الحال، وامتدت جذورها، واشتدت فروعها مطلقة رائحة ذكية. وعندما نما هذا النبات أصبح شجرة البلسان، فنظر سيدنا "عيسى" لأمه وقال لها: أمَّاه هذا هو البلسان الذي زرعته، وسوف يبقى هنا للأبد، ومنه سيأخذ المسيحيون زيت العماد".

أما شجرة العذراء مريم، فهي شجرة الجميز المصرية المعروفة منذ أقدم العصور المصرية، وقد ارتبطت هذه الشجرة بقصة قدوم العائلة المقدسة لمصر، حيث استظلت بظلها، ولا يزال يوجد بعض من الشجرة القديمة في مكانه حتى الآن.

بركة ملك الشمس

واستحضر الملك ذلك الرجل الذى وجد جيباً فاستخبره عن أحاديثهم، فحدثه بأشياء معجبة، ثم قال:

وأعجب ما رأيت منهم أنه قصد المدينة منذ دهر ملك من ملوك البربر جبار من أهل بيت تجبر، فجاء بجموع كثيرة وجيوش كثيفة وتخاييل هائلة فأغلق أهل مدينتنا حصنهم، ورتبوا المراهقين على أسوارها وكان لهم كاهن عظيم الشأن لا يكاد يخرج من منزله، فسار إليه رءوساؤهم، وشكوا إليه ما دهاهم من عدوهم، فخرج معهم إلى بركة لهم عظيمة بعيدة القعر، كانوا يشربون منها الماء، فجلس على حافتها، وأحاط الكهنة بها، وأقبل يزمزم على ماء البركة، فلم يزل كذلك حتى فاض

الماء وفار، وخرج من وسطه نار تتأجج وخرج من وسطها وجه كدائرة الشمس فخرت الجماعة سجوداً لذلك الوجه وجللهم نوره، وجعل يعزم حتى ملأ البركة وارتفع حتى صعد على أعلى القبة ثم ارتفع إلى السماء فسمعوه يقول قد كفيناكم أمر عدوكم، فاخرجوا فخذوا أموالهم، فخرجنا بأجمعنا متخوفين حتى وصلنا مضاربهم، فوجدناهم أمواتاً لم يبق منهم حي فأخذنا جميع ما تركوه من مال وثياب ودواب وآلة وانصرف أهل المدينة إلى مدينتهم فرحين، وكانوا يأكلون ويشربون. فقلت لبعض الكهنة لقد رأيت عجباً من ذلك الوجه فما هو؟ قال ملك الشمس تبدى لهم فماتوا عن آخرهم كما رأيت.

أخبار الزمان لمجهول / ص ١٩٣

مدينة النحاس

إن عبد الملك بن مروان بلغه خبر مدينة النحاس فكتب إلى عامله بالمغرب أنه قد بلغنى خبر مدينة النحاس التى بنتها الجن لسليمان بن داوود عليهما السلام فاذهب إليها واكتب إلىّ بما تعاينه فيها من العجائب وعجل إلىّ بالجواب سريعاً إن شاء الله تعالى.. قال فلما وصل كتاب عبد الملك بن مروان إلى عامله بالمغرب موسى بن نصير خرج فى عسكر كثيف وعدة كثيرة وزاد لمدة وخرج معه الأدلاء يدلونه على تلك المدينة فسار على غير طريق مسلوك مدة أربعين يوماً حتى أشرف على أرض واسعة كثيرة المياه والعيون والأشجار والوحوش والأطيار والحشائش والأزهار وبدا لهم سور مدينة النحاس كأن أيدى المخلوقين لم تصنعها فهالهم منظرها ثم إن الأمير موسى بن نصير قسم عسكره قسمين فنزل كل طائفة

فى ناحية من سور المدينة وأرسل قائداً من قواده فى ألف فارس وأمره أن يدور حول المدينة وينظر هل يرى باباً أو يشاهد حولها أحداً من الناس فسار ذلك القائد وغاب عن الأمير ستة أيام فلما كان فى اليوم السابع جاء ذلك القائد مع أصحابه وذكر أنه سار حول المدينة ستة أيام فلم يشاهد حولها من الآدميين أحداً ولم يجد للمدينة باباً فقال موسى بن نصير كيف السبيل إلى معرفة ما فى هذه المدينة فقال المهندسون تأمر بحفر أساسها فمنه يمكن أن تدخل إلى داخل المدينة فحفروا عند أساس المدينة حتى وصلوا إلى الماء وأساس النحاس راسخ تحت الأرض حتى غلبهم الماء فعلموا أنه لا سبيل إلى دخولها من أساسها فقال المهندسون نبنى إلى زاوية من زوايا أبراج المدينة بنياناً حتى نشرف على المدينة قال فقطعوا الصخر وأحرقوا الجص والنورة وبنوا إلى جانب المدينة فى زاوية برج من أبراجها بنياناً مقدار ثلثمائة ذراع حتى

عجزوا عن رفع الحجارة والجص والنورة وقد بقى من السور مقدار مائتى ذراع فأمر موسى بن نصير أن يتخذوا من الأخشاب على ذلك البنيان الذى من الحجارة حتى وصلوا مائة وسبعين ذراعاً ثم اتخذوا سلما عظيماً ورفعوه بالحبال على ذلك البنيان حتى أسندوه إلى أعلى السور ثم ندب موسى بن نصير منادياً ينادى فى الناس أن من صعد إلى أعلى سور المدينة نعطيه ديته فجاء رجل من الشجعان والتمس ديته فأمر موسى بن نصير بأن تسلم إليه فقبضها وأودعها وقال: إن سلمت فهى أجرتى وأنا أقبضها وإن هلكت فتسلم لورثتى ثم صعد حتى علا فوق السلم على سور المدينة فلما علاه وأشرف على المدينة ضحك وصفق بيديه وألقى نفسه إلى داخل المدينة قال فسمعوا ضجة عظيمة وأصواتاً هائلة ففزعوا واشتد خوفهم وتمادت تلك الأصوات فصاحوا باسم ذلك الرجل من كل جانب من العسكر فلم يجبهم أحد فلما أيسوا منه ندب الأمير موسى بن نصير منادياً فنادى

فى الناس وقال أمر الأمير أن من صعد إلى أعلى السور أعطيته ألف دينار فبرز رجل آخر من الشجعان وقال أنا أصعد إلى أعلى السور فأمر الأمير أن يعطى ألف دينار فقبضها وعمل فيها كما عمل الذى تقدمه ووصاه الأمير وقال له لا تفعل كما فعل فلان وأخبرنا بما تراه ولا تنزل إليهم وتترك أصحابك فعاهدهم على ذلك فلما صعد وأشرف على المدينة ضحك وصفق بيديه وألقى نفسه وكل من فى العسكر يصيحون له ويقولون لا تفعل فلم يلتفت إليهم وذهب فسمعوا أيضاً أصواتاً عظيمة هائلة أشد من الأولى حتى خافوا على أنفسهم الهلاك وتمادت الأصوات ثلاثة أيام ولياليها ثم سكنت فقال موسى بن نصير أنذهب ولم نعلم بشىء من علم هذه المدينة وبماذا أكتب وأجاوب أمير المؤمنين، وقال من صعد أعطيته ديتين فانتدب رجل من الشجعان وقال أنا أصعد فشدوا فى وسطى حبلاً قوياً وأمسكوا طرفه معكم حتى إذا أردت أن ألقى نفسى إلى المدينة

فامنعونى قال ففعلوا ذلك وصعد الرجل فلما أشرف على المدينة ضحك وألقى نفسه فجروه بذلك الحبل والرجل يجر من داخل المدينة حتى انقطع جسد الرجل نصفين ووقع نصفه من محزمه مع فخذيه وساقية وذهب نصفه الآخر إلى داخل المدينة وكثر الصياح والضجيج فى المدينة فحينئذ آيس الأمير موسى من أن يعلم شيئا من خبر المدينة وقال ربما يكون فى المدينة جن يأخذون كل من طلع على المدينة وأمر الأمير موسى عسكره بالرحيل وسار خلف المدينة فرسخاً أو نحوه فرأى ألواحاً من الرخام الأبيض كل لوح مقدار عشرين ذراعاً فيها نقش كتاب باللسان المسند فيها أسماء الملوك والأنبياء والتبابعة والفراعنة والأكاسرة والجبابرة وكان معه من العلماء من يقرأ كل لغة فنسخوا ما على تلك الألواح.

الغرناطى / تحفة الألباب / ص ٦١ـ ٦٤

★ يدل "بريق أسوار تلك المدينة" الذى ترى من مسافة خمسة أيام على عنصر المعدن النحاس فى

سورها. وتدل ضخامتها على جانب أسطورى فى بنائها: "كأن المخلوقين لم يصنعوها". وضخامتها تظهر من دورة الفرسان "ثلاثة أيام" حول محيطها. لكن أعجب ما فى هذه المدينة خلو سورها من الأبواب أولاً، وغموض ما فيها ثانياً. ما الذى جعل هؤلاء الرجال الثلاثة - الذين اعتلوا السور بعد جهد - يقهقهون ضاحكين ثم يقفزون إلى قلب المدينة، ولماذا لم يُسمع لهم صوت بعد ذلك؟ وماذا حدث لهم؟ هذه الأسئلة تُترك بلا جواب، وإن قيل للخليفة فيما بعد إن الجن هم سكان المدينة الغامضة. بالإضافة إلى سؤال آخر: من يبنى مدينة بلا باب؟.

وسوف يكون علينا أن ننتظر بضعة عقود حتى نسمع بخبر هذه المدينة ثانية، وهذه المرة مع المسعودى الذى توفى فى ٩٥٦ م. والطبرى، مثلاً، الذى يقع بين ابن الفقيه والمسعودى، زمنياً، لا يأتى

على ذكـــر هـذه المدينة فـى أى من مـــجلدات "تاريخ الرسل والملوك".

يكتب المسعودى فى ختام المجلد الثانـى من "مروج الذهب ومعـادن الجوهـر" منشورات الجـامـعـة اللبنـانيـة، بيـروت، ١٩٦٦: ".. وأخـبـار مـدينة رومـيـة.. ثم أخـبـار البـيـوت السـبـعـة التى ببـلاد الأنـدلس. وخـبـر مـدينة الصُّفر وقبة الرصـاص التى بمفاوز الأندلس ومـا كـان من خبر الملوك السالفة فيها، وتعذر الوصـول إليها، ثم ما كـان من أمر صـاحب عبدالملك بن مـروان فى نزوله عليها ومـا تهافت منها من المسلمين عند الطلوع على سـورها وإخـبـارهـم عن أنفـسـهـم أنـهـم قـد وصـلوا إلى نعيم الدنيا والآخرة". ص ٤٠٩».

تثير جـملة المسعودى الأخيرة ارتباكاً وحيرة. هـذا مـؤرخ يكتب عن حـادثة مـفـتـرضـة جـرت قـبل قـرنين ونصـف القـرن تقـريبـاً، مـعـتـمـداً فى الغـالب على رواية سابقة ليست رواية ابن الفقيه لأن ابن الفقيه جازم فى

اختفاء الرجال الذين طلعوا على السور، وهو اختفاء كان من شأنه الحفاظ على لغز المدينة، مما أصاب موسى بن نصير باليأس!. فهل اعتمد المسعودى فعلاً على كتاب - كان شائعاً فى زمنه - ذُكر فيه أن الذين بلغوا أعلى السور فرأوا داخل المدينة بالتالى أخبروا "عن أنفسهم أنهم قد وصلوا إلى نعيم الدنيا والآخرة"؟ ذلك سؤال يبقى معلقاً بانتظار روايات تعقب رواية المسعودى زمنياً.

يزودنا أبو حامد الأندلسى الغرناطى (القرن الثانى عشر للميلاد) بأجمل رواية حول "مدينة النحاس" فى كتابه الفاتن "تحفة الألباب" طبعة الجورنال الآسيوى بباريس، ١٩٢٥.. والغرناطى، الذى يثير إعجاب كاتب عجائب شهير من طراز زكريا القزوينى، الذى ينقل عنه مراراً وتكراراً فى كتاب "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، يتمكن فى الباب الثانى "فى

صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان" من "تحفة الألباب"، من إعادة صوغ رحلة موسى بن نصير إلى "مدينة النحاس التى بناها الجن لسليمان بن داود عليه السلام فى فيافى الأندلس بالمغرب الأقصى قريباً من بحر الظلمات"، في وصف بارع نكاد معه نرى المدينة نصب أعيننا: بسور شاهق من النحاس الأصفر اللامع يكاد من "بُعد أقطاره" يظهر مستقيماً. لكن الغرناطى لا يكتب عن "مدينة النحاس" بصفتها "نعيم الدنيا والآخرة". فهو بعد أن يصف محاولات ابن نصير الفاشلة لاقتحامها حين لم يجد لها باباً يخلعه حاول الحفر تحتها، فظل يحفر مرتطماً بالأساس النحاسى حتى بلغ المياه الجوفية!، ويخبرنا عن الرجال الثلاثة الذين تسلقوا السلالم وصفقوا مصعوقين ثم قفزوا، كما فى رواية ابن الفقيه واحداً تلو الآخر، إلى داخل المدينة. لكنه يضيف بعداً جديداً مفزعاً للحكاية: فبعد أن يقفز المتسلق إلى قلب المدينة

تتصاعد منها ضجة هائلة وصراخ ثاقب يدوم ثلاثة أيام بلياليها، وطوال هذه المدة يرتعش جيش ابن نصير فى الخارج رعباً!.

بدأت الحكاية تتبدل إذاً. ولا يلبث الغرناطى أن يدفع الأسطورة إلى تخومها، فالرجل الرابع سيطلب من القائد ابن نصير أن يربطه بحبل، وهكذا يستطيع أصحابه سحبه فيما لو مال عنهم وقفز غير آبه بصراخهم لدى بلوغه أعلى السور. يتم تنفيذ ذلك: يصفق الرجل المربوط بالحبل حول خصره، ويقفز من أعلى السور إلى داخل المدينة. وحين يحاول أصحابه سحبه يسحبون النصف الأسفل من جسمه، أما جذعه ورأسه فيضيعان وراء السور النحاسى! وتتعالى الضجة المرعبة من جديد. هنا يصاب موسى بن نصير باليأس وينسحب.

توفى الغرناطى فى دمشق سنة ١١٧٠ م، بعد أن قطع رحلة طويلة، رحلة دامت طوال حياته، من موطنه

فى إسبانيا، الى تسكعه فى إفريقيا، وحتى بلوغه بلاد الشام. لا نعرف موقعاً محدداً لمدينة النحاس، أهى فى المغرب إفريقيا أم فى الأندلس فى أوروبا؟ تختلف روايات المؤرخين، لكن الغرناطى جال فى إفريقيا كما فى أوروبا من دون أن يعــثــر على هذه المدينة! - ومراعاة للترتيب الزمنى - علينا استشارة ياقوت الحموى المتوفى بعد الغرناطى بستين عاماً تقريباً.

معجم البلدان لياقوت الحموى الجزء السادس ص ١٥٦٨

مدينة النحاس: ويقال لها مدينة الصفر ولها قصة بعيدة من الصحة لمفارقتها العادة وأنا برىء من عهدتها إنما أكتب ما وجدته فى الكتب المشهورة التى دونها العقلاء ومع ذلك فهى مدينة مشهورة الذكر فلذلك ذكرتها. قال ابن الفقيه: ومن عجائب الأندلس أمر مدينة الصفر التى يزعم قوم من العلماء أن ذا

القرنين بناها وأودعها كنوزه وعلومه وطلسم بابها فلا يقف عليها أحد وبنى داخلها بحجر البهتة، وهو مغناطيس الناس، وذلك أن الإنسان إذا نظر إليها لم يتمالك أن يضحك ويلقى نفسه عليها فلا يزايلها أبدا حتى يموت، وهى فى بعض مفاوز الأندلس، ولما بلغ عبد الملك بن مروان خبرها، وخبر ما فيها من الكنوز والعلوم وأن إلى جانبها أيضا بحيرة بها كنوز عظيمة كتب إلى موسى بن نصير عامله على المغرب يأمره بالمسير إليها، والحرص على دخولها، وأن يعرفه ما فيها ودفع الكتاب إلى طالع بن مدرك فحمله وسار حتى انتهى إلى موسى بن نصير وكان بالقيروان فلما أوصله إليه تجهز وسار فى ألف فارس نحوها، فلما رجع كتب إلى عبد الملك بن مروان: بسم الله الرحمن الرحيم أصلح الله أمير المؤمنين صلاحا يبلغ به خير الدنيا والآخرة أخبرك يا أمير المؤمنين أنى تجهزت لأربعة أشهر وسرت نحو مفاوز الأندلس، ومعى ألف فارس من أصحابى حتى أوغلت فى طرق قد

انطمست، ومناهل قد اندرست وعفت فيها الآثار وانقطعت عنها الأخبار أحاول بناء مدينة لم ير الراؤون مثلها، ولم يسمع السامعون بنظيرها فسرت ثلاثة وأربعين يوما ثم لاح لنا بريق شرفها من مسيرة خمسة أيام فأفزعنا منظرها الهائل وامتلأت قلوبنا رعبا من عظمها وبعد أقطارها فلما قربنا منها إذ أمرها عجيب ومنظرها هائل كأن المخلوقين ما صنعوها فنزلت عند ركنها الشرقى وصليت العشاء الأخيرة بأصحابى وبتنا بأرعب ليلة بات بها المسلمون فلما أصبحنا كبرنا استئناسا بالصبح وسرورا به ثم وجهت رجلا من أصحابى فى مائة فارس وأمرته أن يدور مع سورها ليعرف بابها فغاب عنا يومين ثم وافى صبيحة اليوم الثالث فأخبرنى أنه ما وجد لها بابا ولا رأى مسلكا إليها، فجمعت أمتعة أصحابى إلى جانب سورها وجعلت بعضها على بعض لينظر من يصعد إليها فيأتينى بخبر ما فيها فلم تبلغ أمتعتنا ربع الحائط لارتفاعه وعلوه فأمرت عند ذلك باتخاذ

السلالم فاتخذت ووصلت بعضها إلى بعض بالحبال، ونصبتها على الحائط وجعلت لمن يصعد إليها ويأتينى بخبرها عشرة آلاف درهم فانتدب لذلك رجل من أصحابى ثم تسنم السلم، وهو يتعوذ، ويقرأ فلما صار على سورها وأشرف على ما فيها قهقه ضاحكا ثم نزل إليها فناديناه أخبرنا بما عندك وبما رأيته فلم يجبنا. فجعلت أيضا لمن يصعد إليها ويأتينى بخبرها وخبر الرجل ألف دينار فانتدب رجل من حمير فأخذ الدنانير فجعلها فى رحله ثم صعد فلما استوى على السور قهقه ضاحكا ثم نزل إليها فناديناه أخبرنا بما وراءك، وما الذى ترى فلم يجبنا ثم صعد ثالث فكانت حاله مثل حال اللذين تقدماه فامتنع أصحابى بعد ذلك من الصعود وأشفقوا على أنفسهم فلما أيست ممن يصعد، ولم أطمع فى خبرها رحلت نحو البحيرة وسرت مع سور المدينة فانتهيت إلى مكان من السور فيه كتابة بالحميرية فأمرت بانتساخها فكانت هذه

ليعلم المرء ذو العز المنيع ومن

يرجو الخلود وما حي بمخلود

لوأن حيا ينال الخلد في مهل

لنال ذاك سليمان بن داود

سالت له العين عين القطر فائضة

فيه عطاء جليل غير مصرود

وقال للجن انشوا فيه لي أثرا

يبقى إلى الحشر لا يبلى ولا يودى

فصيروه صفاحا ثم ميل به

إلى البناء بإحكام وتجويد

وأفرغوا القطر فوق السور منحدرا

فصار صلبا شديدا مثل صيخود

وصب فيه كنوز الأرض قاطبة

وسوف تظهر يوما غير محدود

لم يبق من بعدها في الأرض سابغة

حتى تضمن رمسا بطن أخدود

وصار فى قعر بطن الأرض مضطجعا

مضمنا بطوابيق الجلاميد

هذا ليعلم أن الملك منقطع

إلا من الله فى التقوى وفى الجود

صفحة: ١٥٦٩

ثم سرت حتى وافيت البحيرة عند غروب الشمس فإذا هى مقدار ميل فى ميل، وهى كثيرة الأمواج وإذا رجل قائم فوق الماء فناديناه من أنت فقال: أنا رجل من الجن كان سليمان بن داود حبس ولدى فى هذه البحيرة فأتيته لأنظر ما حاله.. قلنا له فما بالك قائما على وجه الماء قال: سمعت صوتا فظننته صوت رجل يأتى هذه البحيرة فى كل عام مرة فهذا أوان مجيئه فيصلى على شاطئها أياما، ويهلل الله ويمجده. قلنا: فمن تظنه؟ قال: أظنه الخضر عليه السلام. ثم غاب عنا فلم ندر أين أخذ فبتنا تلك الليلة على شاطئ البحيرة وقد كنت أخرجت معى عدة من الغواصين

فغاصوا فى البحيرة فأخرجوا منها حبا من صفر مطبقا ورأسه مختوما برصاص فأمرت به ففتح فخرج منه رجل من صفر على فرس من صفر بيده مطرد من صفر فطار فى الهواء، وهو يقول: يا نبى الله لا أعود. ثم غاصوا ثانية وثالثة فأخرجوا مثل ذلك فضج أصحابى وخافوا أن ينقطع بهم الزاد فأمرت بالرحيل، وسلكت الطريق التى كنت أخذت فيها وأقبلت حتى نزلت القيروان. والحمد لله الذى حفظ لأمير المؤمنين أموره وسلم له جنوده. فلما قرأ عبدالملك هذا الكتاب كان عنده الزهرى فقال له: ما تظن بأولئك الذين صعدوا السور كيف استطيروا من السور وكيف كان حالهم. قال الزهرى: خبلوا يا أمير المؤمنين فاستطيروا لأن بتلك المدينة جنا قد وكلوا بها. قال: فمن أولئك الذين كانوا يخرجون من تلك الحباب ويطيرون قال: أولئك الجن الذى حبسهم سليمان بن داود عليه السلام فى البحار.

سنلاحظ هنا إضافات جديدة بالرغم من أن ياقوت يذكر أنه نقلها من الكتب المشهورة، كما هى؟. كما سنلاحظ تشابها فى الجزء الخاص بالرجال الذين سقطوا داخل المدينة مع قصة كشف منابع النيل عند المسعودى.

مدينة هرمس

حكى عن رجل أتى عبد العزيز بن مروان وهو والى مصر فعرفه أنه أوغل فى صحراء الغرب فى طلب جمل له ضل، فوقع إلى مدينة خراب وأنه وجد فيها شجرة عظيمة تحمل من كل صنف من الفاكهة وأنه قد أكل منها وتزود، فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدن هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز جماعة من ثقاته، ووجهه معهم، وتزودوا زاد شهر ومشوا يطوفون تلك الصحارى زماناً، فما وجدوا لها أثراً.

أخبار الزمان لمجهول / ص ١٧٦

★ **توت مثلث العظمة = هرمس :**

أو إله الحكمة عند الفراعنة .. أحد أرباب ثامون الأشمونين الكونى. يعتبر من أهم الآلهة المصرية القديمة، ويُصور برأس أبومنجل.. نظيره الأنثوى الإلهة ماعت ولقد كان ضريحه الأساسى فى أشمونين حيث كان المعبود الأساسى هناك.

اعتبر قدماء المصريين أن الإله توت هو الذى علمهم الكتابة والحساب، وهو يصور دائما ماسكا بالقلم ولوح يكتب عليه. له دور أساسى فى محكمة الموتى حيث يؤتى بالميت بعد البعث لإجراء عملية وزن قلبه أمام ريشة الحق ماعت. ويقوم توت بتسجيل نتيجة الميزان. إذا كان قلب الميت أثقل من ريشة الحق – فيكون من المخطئين العاصين – يُلقى بقلبه إلى وحش مفترس تخيلى اسمه عمعموت فيلتهمه وتكون هذه

هى النهاية الأبدية للميت. أما إذا كان القلب أخف من ريشة الحق (ماعت) فمعنى ذلك أن الميت كان صالحا فى الدنيا فيدخل الجنة يعيش فيها مع زوجته وأحبابه، بعد أن يستقبله أوزيريس .

★ هرمس الحكيم والهرمسيات.. والعلاقة بين هرمس وكل الحضارات :

إن فى اعتراف الفيلسوف الكبير (أفلاطون) بفضل الحضارة المصرية القديمة على الفكر اليونانى - ومن ثم على الغرب كله - لهو المدخل الأرحب للولوج فى دروب كشف جذور الفلسفات التى قامت عليها الحضارات المعاصرة. وكذا تأكيد كارل ماركس على هذا أيضا. ذلك لأنه لا يخفى على أحد كون أفلاطون أحد أهم أركان الحضارة اليونانية - إن لم يكن أهمها - وقد قالها أفلاطون صراحة معبرا عن ذلك فى مقولته الشهيرة: « أيها الإغريق لستم سوى أطفال، لا يوجد بينكم شيوخ ».. مما ينبئ عن مصادر

شرقية أصيلة للفلسفة اليونانية. ومن المعروف أن هذه المنطقة هى موطن الهرمسيات التى تمثل لب الخطاب الفلسفى لأفلاطون، وهو الذى عاش وتلقى تعليمه فى الإقليم - أون - فترة ليست بالقصيرة تعلم فيها من العلوم والأسرار، وتعلم الهرمسيات (أفكار هرمس الحكيم)، بل واعتنق الديانة المصرية القديمة والتى كانت على قول من الأقوال الموضوعية ديانة توحيدية ألا وهى ديانة الصابئة التى اعترف القرآن الكريم بها. ومن قبله فيثاغورث الذى عاش فى نفس المنطقة قبله. مما يؤكد على مشاركة هذا الإقليم فى صناعة النسيج العالمى للثقافة عامة وللفلسفة خاصة، وما بروز إسكندرية كعاصمة للفلسفة فى العالم القديم فيما بعد إلا نتاج للتزاوج القديم بين الهرمسيات والحضارة اليونانية.

★ ما هى الهرمسيات (متون هرمس) وإلى من تنتسب؟

والهرمسيات هذه تنتسب لشخص واحد مختلف

فيه وعليه فى الفكر الإنسانى كله، وغير متفق على كينونته، هل هو شخص حقيقى أم أسطورى؟ وهل هو هرمس الحكيم أو هرمس مثلث الحكمة؟ الذى ينسب له كل الأعمال الحضارية التى ساعدت فى إعمار الأرض، فينسبون له أنه مخترع الكتابة ويسمونه كاتب الآلهة، وأنه واضع أول تقويم، وأنه أول من مدن المدن، وأول من علم الناس لبس الثياب وقد كانوا قبله يلبسون الجلود، وغير ذلك من مظاهر الحضارة، وأول من تكلم فى الفلك ووضع علومه، وهو واضع أول لكل فنون الطب والعمارة والهندسة وغيرها، وأنه أول من بنى الأهرامات لحفظ العلوم والمعارف، فهو باختصار «له دور بارز ومؤسس لأركان الحضارة الإنسانية، فى الدين والعلم والفن والفلسفة ».

ومن ألقابه: المعظم ثلاثا - العظيم ثلاثة - عظيم مرات ثلاثة - عظيم العظماء - المزدوج بالعظمة - مثلث العظمة - مثلث العظمات - مثلث الحكمة - مثلث النعم - مثلث الرحمات - ثلاثى التعليم - النبى

المثلث – على الدوام عظيم جدا – سيـد الحكمـة المقدسة – الذى يزن – الباز.

وهرمس هذا يصور على أنه حكيم تارة، وعلى أنه نبى تارة أخرى، بل وصل الأمر بهم إلى جعله إلها. ويجزم البعض على كونه أول رسل السماء وثالث الأنبياء بعد أدم وشيث المسمى فى التوراة بأخنوخ، وفى القرآن بإدريس. كما يجزم البعض على كونه إله الحكمة عند المصريين والذى يسمى بالإله – توت –.. ومما ينسب إليه مجموعة من النصوص التى تسمى بالهرمسيات (أومتون هرمس) صنفها الفيلسوف المغربى محمد عابد الجابرى ضمن علوم العرفان، نصوصا يعتبرها البعض وحيا إلهيا.

إلا أنه بات مؤكدا بحدوث كثير من التحريفات التى تصل أحيانا إلى حد الخرافات على النسخ الأصلية للهرمسيات، كما أن هذه الهرمسيات ولا شك قد

انتشرت في كل أفكار ومعتقدات العالم تقريبا، مما يجعل لها مبررا ما، وتفسيرات ما، عند كل طائفة تختلف فيها عن الأخرى. «بل إن أفكار هرمس (أوالهرمسية) وما اختلط بها من خرافات بمرور الزمن تحولت إلى ما يشبه العقيدة عند بعض ممن يعتقدون في هرمس وما ارتبط به من أفكار وعقائد».

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أولا: الفكر الغربي عامة، والحركات الإصلاحية خاصة:

«تمثل هذه الهرمسيات حجر الزاوية في الفكر الغربي» وكل الحركات الإصلاحية في العالم، - وتكاد تكون قائمة المفكرين الذين اعترفوا بفضل تحوت تشكل موسوعة كاملة من أكبر مفكري العالم الغربي، وعلمائه وفنانيه، ومن بينهم - ليوناردو دافنشي -، و - مايكل أنجلو -، و - دورر -، و- بوتيتشللي -، - روجر بيكون -، و- باراكيلوس -، و- توماس مور -،

و- وليام بليك -، و- كوبيرنيكوس -، و- اسحق نيوتن -، و- ولتر رالى -، و- جون ميلتون -، و- بن جونسون -، و- دانييل ديفو-، و- شيللى -، وزوجته - مارى -، و- فيكتور هوجو-، و- كارل يونج - كما كان أثره عميقا على - شكسبير -، وكل الشعراء الفلاسفة الذين أحاطوا ببلاط الملكة إليزابيث الأولى، والأعضاء المؤسسين للجمعية الملكية فى لندن، وبلغ نفوذه حتى قادة الإصلاح البروتستانتى فى أوروبا. والقائمة لا تنتهى.

ثانيا: أثر الهرمسيات فى التراث التنسكى اليهودى:

والنسق المعرفى اليهودى نسق استعلائى لا يعترف لأى أحد بفضل تأثير عليه، لأنه يعتبر الكتاب المقدس مرجعية نهائية. وبرغم كون هرمس (أخنوخ أو إدريس عليه السلام) ليس من أنبياء التوراة ؛ إلا إنه يحظى عندهم بمكانة قل أن يحوزها عندهم نبى،. وذلك بسبب أهميته فى تأسيس الحضارة الإنسانية ؛ التى

يدعون - زورا - أنهم مؤسسوها؛ برغم أن هرمس يسبق نزول التوراة بآلاف السنين.

ولكن بشيء من التتبع العلمي، يدرك الباحث المنصف أثر الهرمسية عليهم خاصة في تراثهم التنسكي، لذا قالها مارتن برنال صراحة: « اليهود بلا شك فضلات الحضارة المصرية، ولا يستطيع أي إنسان أن يقنع أحدا بأن المصريين قد أخذوا عن اليهود أيا من مبادئهم سواء كانت صالحة أم لا ».. وتأثر اليهودية بالهرمسية جاء من خلال التراث الشفوي اليهودي (الأجاداه)، ووثائق المخطوطات اليهودية، والكتب اليهودية غير القانونية (الأبوكريفا)، والكتب التي يسمونها بالكتب المنحولة (البسيدوجرافون)، وكذا بعض الكتب المعتمدة في أساطيرهم مثل كتاب (أساطير اليهود) للمؤلف - لويس جنزبرج -، كذا أسفار أخنوخ الشهيرة، كلها تنطق بتأثير الهرمسيات عليها خاصة فيما يخص الجانب العرفاني منها.

وهذا ما تؤكد عليه د / هدى درويش ؛ حيث تقرر أن القصص اليهودية بما فيها من أساطير وروايات تأثرت بحضارات مختلفة منها المصرية القديمة.

ثالثا: أثر الهرمسيات فى المسيحية:

لقد أثرت الحكمة الهرمسية على المسيحية أيضا من خلال آباء كنيسة إسكندرية مثل القديس كليمنت والقديس أوريجن، ويرجع إلى هؤلاء اللاهوتيين مفهوم العالم الذى افتتح به يوحنا إنجيله: «فى البدء كان الكلمة»، وقد كان «توت / هرمس» معروفا لدى القدماء بأنه « كاتب الآلهة» و«سيد الكلمة».. ففى الهرمسيات ينطق الإله الكلمة التى تبعث الهدوء فى اللجة الصاخبة، كما أن الكلمة سميت «ابن الله» والمسيحية تطلق على المسيح «ابن الله» و«أنه تجسيد لقوة الكلمة».

رابعا: أثر الهرمسيات في ديانة الصابئة:

حيث يقر بذلك الفيلسوف الكبير عبد الرحمن بدوى قائلا: «بأن الصورة الكلدانية (أى الصابئة) لهرمس: إنه نبى الكلدانيين (أونبى الصابئة)».. كما يؤكد غير واحد على كون جذور الصابئة جذورا مصرية المعارف والأفكار، ومتأثرة إلى حد كبير وملحوظ بهرمس أوتوت وآدابه. والمتتبع للنسق الفكرى لأهم فلاسفتهم (ثابت بن قرة) يدرك حجم تقديرهم لهرمس والهرمسيات. وعن سر تعلق الصابئة بالهرم الأكبر وتعظيمهم له كتعظيم الحرمين؛ يذكر الإدريسى كونهم يعتقدون أن سيدنا إدريس عليه السلام (أو هرمس) هومن بنى الهرم، وأن آثاره موجودة فيه إلى الآن.

خامسا: أثر الهرمسيات فى التصوف الإسلامى:

١ لقد أمسى من المعلوم تأثر الصوفية – وخاصة فى جانبها العرفانى – بما يعرف فى الفلسفة باسم «الأفلاطونية المحدثة» التى نسجت خيوطها فى إسكندرية فى القرن الثانى الميلادى، وقد نتجت هذه المدرسة عن امتزاج الفكر اليونانى بالفكر المصرى

القديم فى إسكندرية، ثم انتقلت إلى شعوب البحر المتوسط وإيران. ولم يكن هذا الفكر المصرى القديم سوى متون «تحوت».أو «هرمس» التى كانت تمثل لب الخطاب الفلسفي آنذاك. وهو الأمر الذى أكده وأثبته المفكر محمد سعيد العشماوى فى كتبه والفيلسوف المغربى «محمد عابد الجابرى» من أثر للهرمسيات على التصوف الإسلامى فى أفكار شتى منها: العرفان والغنوصية الصوفية، والفناء فى الله، والإشراق، والخلاص، ووحدة الكون والترابط بين أجزائه، وتبادل التأثير بينها بالتجاذب والتنافر.. وفى هذا المجال يذكر أن مزج ذى النون المصرى للتصوف بالكيمياء كان من تأثير هرمس عليه. كما كان لذى النون دور كبير فى نشر أفكار هرمس داخل النسق الصوفى ؛ فكما يقول د / عبد الرحمن بدوى: انتقل تأثيره «أى هرمس» على الصوفية عن طريق ذى النون المصرى (المتوفى سنة٢٤٥ هـ = سنة ٨٥٩ م) خصوصا فى فكرة استخدام «الروح» فى مقابل «العقل» فى إدراك المسائل الإلهية.

سادسا: أثر الهرمسيات على الفكر الشيعى:

فكما يقول فستوجير: «وكان أول المسلمين الذين اعتنقوا أو آمنوا بالهرمسيات هم من الشيعة الذين يرون أن التاريخ دورى».. ومما يدلل على التأثير الهرمسى على الفكر الشيعى- على سبيل المثال فكرة الطباع التام فكما يقول د / إبراهيم الدسوقى شتا: «ولعل أهم الأفكار التى تسربت إلى العرفان الإيرانى منذ القرن السادس - وكان من المشهور إلى عهد قريب أنها من تأثير الإسماعيلية» فكرة الاعتقاد بأن هناك هاديا سماويا يساعد السالك فى الوصول إلى الحقيقة، وفى النهاية يتحد به السالك، فهذا الهادى هونفس حى بن يقظان ابن سينا، والشاهد فى السماع عند عارفى القرن السابع والمرشد عموما عند كل الطرق الصوفية، وكان يسمى عند هرمس «الطباع

التـــام» ويقـــول أيضــــا: «وهنـاك فكـرة أخـرى مـن الهرمسية سادت الفكر الشيعى وخاصة الإسماعيلى، وتسربت إلى العرفان، وهى فكرة المطابقة التامة بين العالم الصغير (أى الإنسان) والعالم الكبير (أى الكون)».

نتيجة:

لقد بان جليا عظم أثر شخصية «هرمس» على أهم الأفكار «تقريبا» فى كل أنحاء العالم القديم والحديث، حتى باتت الهرمسية عند البعض فتنة، حيث اتخذوها عقيدة، واتخذوا متونها (بما فيها من تحريف) وحيا ينطق لهم بما تمليه عليهم أهواؤهم.

ولا يشك باحث منصف على كون شخصية هرمس الحكيم هى أكثر شخصية تناولتها أقلام فى التاريخ الإنســـانى كله، وذلك لعظم أثره وتـأثيـــره على كل الفلسفات المعاصرة تقريبا، ومن قبلها كل الديانات السماوية، بل وغيرها أيضا.

مما يدعونا لسبر أغوار هذه الشخصية التى تنتمى لأهم مدن الإقليم دمنهور أو(هرموبوليس بارفا) أى مدينة هرمس الصغرى تمييزا لها عن مدينة هرمس الكبرى بمدينة الأشمونيين بمحافظة المنيا (هرموبوليس ماجنا)، وهما المدينتان اللتان ارتبطا بشخصية هرمس الغامضة ؛ وإن كان علماء المصريات فى الغرب وعلى رأسهم «فرانسوا ديماس» قد حسموا موطنه الأصلى لصالح مدينة دمنهور أى هرموبوليس بارفا، وشاركه فى هذا «ماريوتوسى» و«كارلوريوردا».

وهذا ما يفسر كون المدينتين من المدن المقدسة عند الإغريق. ويفسر أيضا قول «فرانسوا ديماس» عن الفيلسوف العظيم «أفلاطون»: أنه قد اهتم عند مروره على هرموبوليس بالإله «توت» أوهرمس الحكيم «الذى جعل منه بعد ذلك بزمن الشخصية الأولى فى الأسطورة التى بلغت حد الجمال والتى أدمجها فى محاورته المسماة فيدرا أوفايدروس.

كما ارتبطت معرفة المصريين للتقويم وأيام السنة والشهور بالإله توت فالبعض يطلق على التقويم المصرى اسم التقويم التوتى كما أن أول شهور السنة المصرية هو شهر "توت".

سنشير هنا إلى التعاليم والخلاصات الهرمسية السابقة للتاريخ الميلادى، وتأتي باختصار هذه المبادئ جراء زواج حصل بين الثقافتين اليونانية والمصرية القديمة وجاءت الثمار هذه الشروحات البهية التى سنعرضها هنا بشكل مختصر مع أن كل مبدأ يحتمل مجلدات للحديث فى تفاصيله.

١ . **مبدأ العقلانية :** يعنى هذا المبدأ أن المطلق الوحيد هو العقل حيث تكمن الحقائق الجوهرية بكل تجلياتها، ومن هنا أهمية الكوجيتو التى توصّل إليها ديكارت (أنا أفكّر، إذن أنا موجود).

٢ . **مبدأ التناظر (التواصل) :** يشير هذا المبدأ إلى أن هناك دائماً علاقة وتواصل بين جميع الظواهر الحياتية على كل المستويات «كما تنص المسلمة

الشهيرة «كما في الأعلى كذلك في الأسفل، كما في الأسفل كذلك في الأعلى» أن كل الأشياء مترابطة بعضها ببعض.

٣ . **مبدأ الاهتزاز (التذبذب) :** يعني هذا المبدأ بالإشارة إلى أن الفوارق بين كل تجليات المادة وحتى الروح تنتج عن تفاوت معدل الاهتزاز.

٤ . **مبدأ القطبية (الازدواجية) :** وبكل بساطة يُشار هنا إلى أن هناك جانبين لكل شيء، كل شيء مزدوج، كل شيء له أقطاب. وأن الأضداد متشابهة لكن بدرجات متفاوتة ومن هنا يمكن التوفيق بين زوج من الأضداد.

٥ . **مبدأ التناغم :** كل شيء يتدفق للداخل والخارج، كل شيء له مد وجزر، منبع ومصب، تقدّم تراجع، ارتفاع وانخفاض. فعل وردة فعل.

٦ . **مبدأ السبب والنتيجة :** وباختصار هنا أيضاً، كل سبب له نتيجته وكل نتيجة لها سببها،

والكل يحدث وفقاً لقانون معيّن على عدة مستويات، والصدفة تعنى فقط غياب المعطيات وعدم معرفة القانون.

٧ . **مبدأ النوع (الجنس)** : يشير أخيراً هذا المبدأ إلى وجود تنوع فى كل شىء، إن كل شىء له أصول مؤنثة ومذكرة، لا يوجد خلق ولا انبعاث من دون هذا المبدأ، بما أن هناك ترابطاً وتواصلاً فى كل شىء، وبما أن كل شىء ينعكس على الآخر.. ينبغى علينا التعامل مع بعضنا البعض كواحد، كجزء من الكل.. عندما نشعر بهذا التواصل وحقيقته، سنعرف كيف نستفيد من هذه الطاقة غير المحدودة الموجودة فى دواخلنا والخارج.. وعندها لن ينقطع النور أبداً.

الواحات الداخلة

وحكى أيضاً عن آخرين أنهم ضلوا فى طريق الغرب فوقعوا إلى مدينة كثيرة الماء والشجر والناس والمواشى والنخل والزرع، فأضافوهم وأكلوا عندهم وأباتوهم فى دار فيها طاحونة يعمل فيها الخمر

فشربوا معهم حتى سكروا وناموا، فلما انتبهوا عند طلوع الشمس وجدوا أنفسهم فى مدينة خراب ليس فيها أنيس ولا عمارة، فارتاعوا وخرجوا على وجوههم كالهاربين، وساروا يومهم على غير سمت حتى قرب المساء، فظهرت لهم مدينة أكبر من الأولى وأعمر وأكثر أهلاً ودواباً ونخلاً وشجراً وزرعاً ومواشى، فأنسوا بها ونزلوا عندهم فأخبروهم بخبر المدينة الأولى.

فجعلوا يعجبون من ذلك ويضحكون منهم، وإذا لبعض أهل المدينة وليمة، فانطلقوا بهم إليها فأطعموهم بها وسقوهم وغنوهم بأصناف الملاهى، وسألوهم عن أخبارهم، فأخبروهم أنهم ضلوا عن الطريق فى بعض هذه الصحارى، فقالوا لهم الطريق بين أيديكم واضح، ولا يمكن أن تغلطوا فيه فإن أحببتم المسير وجهنا معكم من يوقفكم على سمت الطريق الكبير الذى يؤديكم إلى مكانكم، وإن أحببتم أن تقيموا عندنا أرفدناكم وزوجناكم عندنا، وكنتم

أصهارنا وإخواننا، فسروا بذلك من قولهم، فأجمع بعضهم على المقام معهم، وأجمع أكثر من كان منهم له أهل وولد على أن يأخذ أهله وولده فيسير نحوهم قالوا فبتنا معهم خير مبيت، ثم نمنا فلما كان فى الغد انتبهنا فوجدنا أنفسنا في مدينة عظيمة خراب قد تشعث بعض حصونها، وليس بها أحد من الناس إلا أن حولها نخلاً كثيراً قد تساقط ثمره، وتكدس حوله.

فلحقنا لذلك من الخوف والارتياع والوحشة ما كاد يتلفنا.

فخرجنا منها مفكرين فيما عايناه، وإنا لنجد روائح الخمر معنا ومعانى السكر فينا ظاهرة، فلم نزل نسير يومنا أجمع، وليس بنا جوع ولا عطش، حتى إذا كان المساء وافيناً راعياً يرعى غنماً له، فسألناه عن العمارة والطريق، قال إن العمارة قريب منكم، فإذا نحن فى غير موضعنا الذى كنا فيه، وإذا معنا الناس والعمران، وما مشينا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة

الأشمون فى الصعيد، فكنا نحدث الناس فلا يقبلون منا.

أخبار الزمان لمجهول / ص ١٨٢ ـ ١٨٣

تعتبر الواحات الداخلة أكثر الواحات المصرية جذبًا للسياح. وتحتوى هذه الواحة على أكثر من ٥٠٠ ينبوع ساخن مثل بئر طرفاوى وبئر الجبل إلى جانب المساكن المبنية من الطوب وبقايا من مدن يعود تاريخها إلى القرون الوسطى مثل قريتى القصر وبلاط. تتوسط واحة الداخلة مدينة موط التى تعود إلى العصور الفرعونية، والتى يمكنك، وعلى الرغم من انضمامها إلى الأماكن السياحية الحديثة، الاستمتاع بمشاهدة بقاياها، أو السير فى شوارعها وممراتها.

وادى الرمل

لما ملك ناشر تجهز وسار فى جمع لا يحصى عددهم نحوالمغرب حتى إذا بلغ وادى الرمل أراد أن يجوزه فلم يجد مجازاً فأقام إلى يوم السبت فلما

سكن الرمل يوم السبت أرسل نفراً من أصحابه وأمرهم أن يقطعوه ثم يقيموا من ذلك الجانب إلى السبت الآخر ثم ينصرفوا إليه بخبر ما رأوه فساروا يومهم ذلك حتى هجم عليهم الليل قبل أن يقطعوه فجرى ذلك الرمل فغرقوا فيه فلما رأى ذلك ولم يرجع إليه من أصحابه أحد أمر بصنم فنصب على حافة الوادى وكتب على جبهته: ليس ورائى لامرء مذهب فلا يتكلفن أحد المضى إلى الجانب الآخر ثم انصرف إلى مملكته.

ابن الفقيه / كتاب البلدان / ص ٨٧

★ ومن كتاب المدن المسحورة لفارس خضر الصادر فى سلسلة الدراسات الشعبية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ٢٠١٣ يذكر فى ملاحق الكتاب بعضا من مخايلات تاريخ مدن واحات مصر الغربية:

مدينة العجائب:

١ـ عمل من خلف الجبل وبين الواحات الداخلة مدنا، وعمل فيها عجائب كثيرة، ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها، فلا يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخلها حتى يعمل عقداً بين أولئك الروحانيين، فيصل حينئذ إليها ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر.

(المسعودى، أخبار الزمان، ص ١٨٥)

مدينة العقاب:

٢ـ "وأخبار مدينة العقاب، وما ذكر الناس فيها، وكونها فى وهاد مصر وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة، وخبر العمود الذى ينزل منه الماء فى فصل من السنة بأرض عاد، وأخبار النمل الذى على قدر الذئاب والكلاب، وقصة أرض الذهب التى حذاء سجلماسة من أرض المغرب، ومن هنالك من وراء النهر العظيم، ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم، وتركهم المتاع، وغدو الناس إلى أمتعتهم

فيجدون أعمدة الذهب وقد تركت إلى جنب كل متاع من تلك الأمتعة، فإن شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع، وإن شاء أخذ متاعه وترك الذهب، وإن أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع، وهذا مشهور بأرض المغرب بسجلماسة، ومنها يحمل التجار الأمتعة إلى ساحل هذا النهر، وهو نهر عظيم واسع الماء".

(المسعودى، مروج الذهب، ص ٢٧٢)

مدينة الأموال والحكم

٣ـ "وبنى فى أقصى الواحات مدينة جعل طول سورها فى الارتفاع خمسين ذراعاً وأودعها أموالاً وحكماً كثيرة، وهى التي وقع عليها موسى بن نصير فى زمن بنى أمية وغلب عليها الرمال، وكانت تحت الأرض. وكانت مدة حياته وسنه ستمائة سنة وسبعين سنة".

(أبو عبيد البكرى، المسالك والممالك، ص ٥٧٧)

مدينة للتائهين

٤- "وزعموا أن في صحراء الواحات بلد يقال له واح صبرو وأنه بلد لا يقع عليه إلا من قد ضل في الصحراء في النادر من الزمان، فالواقع عندهم يقول إنه يكون في بلادهم ما شاء وهم في أخصب عيش فإذا أراد الرجعة أروه صوب بلاده. وقد وقع في هذا البلد من عرب بني قرة رجمة بن قائد القرى ورجع إلى موضعه، ثم طلبه بعد ذلك فلم يقدر عليه. فأعد مقرب بن ماضي أمير بني قرة بعد عشرين وأربعمائة من الهجرة زاداً وماءً كثيرين وظهراً وذهب في الصحراء يطلب واح صبرو وبقي يجول في الصحراء مدة فلم يقدر عليها حتى خاف نفاد الزاد، فكر راجعا فنزل ذات ليلة ربوة من الأرض في بهماء تلك الصحاري، فوجد بعض أصحابه في ناحية من تلك الربوة بنياناً للأول، فبحثوا عنه فإذا هو لبن نحاس أحمر محيط بالربوة أساس سور الأول، فأوقروا منه

جميع ما كان عندهم من الظهر ورحلوا عنه، فلو قدروا على إصابة موضعه لم يفرغ من نقل ما فيه من النحاس إلا فى الزمان الطويل".

(أبو عبيد البكرى، المسالك والممالك، ص ٦٦٤)

مدينة خزائن الحكمة

٥ـ "ولما مات ملك بعده ابنه نقارس بن نقراوس، فتجبر وعلا أمره وبنى مدينة يقال لها خلجة ".. وبنى في صحراء الغرب وراء الواحات ثلاث مدن على أساطين، وجعل شرفها من الحجارة الملونة التى تشف، وجعل في كل ناحية منها ثلاث خزائن للحكمة، وهى أول عجائب الأرض، وجعل الدخول إلى هذه المدائن من الأساطين التى بنيت عليها. ففى إحدى هذه الخزائن صنم الشمس الذى هو أعظم أصنامهم، وهى معلقة فى بيت شرفها، وعلى رأسه إكليل فيه كواكبها الثابتة. وفى إحداها صنم للشمس رأسه

رأس طاووس فى جسد إنسان من ذهب أزرق، وعيناه جوهرتان صفراوان، وهو جالس على سرير مغنطيس، وفى يده مصحف العلوم. وفى إحداها صنم رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر، وصورة امرأة جالسة من زئبق معقود، لها ذؤابتان، وفى يدها مرآة وعلى رأسها صورة كوكب، وهى رافعة بالمرآة إلى وجهه، ومظهرة فيها سبعة ألوان، من الماء السائل لا يختلط بعضها ببعض ولا يوارى بعضها بعضاً، وصورة شيخ من حجر الفيروز، وبين يديه صبية يعلمهم، وهم من أصناف العقيق والجوهر. وفى الخزانة الثانية صورة هرمس، يعنى عطارد، وهو مكب ينظر إلى مائدة بين يديه من نوشادر على قوائم كبريت أحمر، وفى وسطها مثل الصحفة من جوهر أحمر فيها دواء أخضر من الصنعة، وصورة عقاب من زمرد أخضر عيناه من ياقوت أصفر، وبين يديه حية من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت رأسها

كأنها تريد أن تنفخ عليه، وفى ناحية منها صورة المريخ راكباً على فرس وبيده سيف مسلول من حديد أخضر، وعمود من جوهر أخضر، عليه قبة من ذهب فيها صورة المشترى، وقبة من أدرك على أربعة أعمدة من جزع أزرق فى سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين فى صورة امرأة ورجل كأنهما يتحادثان، وقبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على صورة امرأة ممسكة بضفيرتها وتحتها رجل من زبرجد أخضر، فى يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها. وجعل فى كل خزانة من بقية الخزائن من العجائب ما لا يحد، وعلى باب كل مدينة طلسمات تمنع من دخولها فى صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً، وفى كل مدينة من الجوهر النفيس والذهب والفضة والكبريت الأحمر والتربة الصنعية فى البرانى الملونة، وصنوف الأدوية النفيسة المؤلفة والسموم القاتلة. وعلم كل باب من الأساطين بعلامة يعرف بها

يصعد إليها من مسارب تحت الأرض. قال: وجعل بين هذه المدائن وبين مدينة خلجة، وهى التى عمل فيها الجنة، سبعة أميال إلى الغرب، وبينها وبين الأخرى أربعة عشر ميلاً، وبين الأخرى واحد وعشرون ميلاً.

وكان له من مدينته إلى هذه المدائن أسراب تحت الأرض يصل منها إليها، وكذلك من بعضها إلى بعض. وعمل عجائب كثيرة أزالها الطوفان، وركبت هذه الأرض الرمال فأزالت طلسماتها. قال: وملك نقارس مائة وسبع سنين ثم هلك فعمل له ناووس، وجعل معه من الأشياء العجيبة ما يطول الأمر بذكره.

(النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ص ١٥٤٧)

مدينة الأصنام الحارسة:

٦ـ "واستقل قبطيم بالملك بعد أبيه.

".. " ويقال: إنه بنى المدائن الداخلة وعمل فيها

عجائب كثيرة، منها: الماء الملفوف القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب والبركة التي تسمى فلسطين، أي صيادة الطير، إذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه أن يبرح حتى يؤخذ، وعمل أيضاً عموداً من نحاس عليه صورة طائر إذا قربت الأسد والحيات والأشياء المضرة من تلك المدينة صفر صفيراً عالياً فترجع تلك الدواب هاربة. وكان على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عندها ولا يستيقظ حتى يأتيه أهل المدينة، وينفخون في وجهه فيقوم، وإن لم يفعلوا ذلك لم يزل نائماً عند الأصنام حتى يهلك. وعمل مناراً لطيفاً من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى رأس المنارة صورة صنم من أخلاط كثيرة، وفي يده كالقوس كأنه يرمي عنها، فإن عاينه غريب وقف في موضعه لم يبرح حتى ينجيه أهل المدينة. وكان ذلك الصنم يتوجه إلى مهب الرياح الأربع من نفسه.

قال وقيل: إن هذا الصنم على حالته إلى الآن، وإن الناس تحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفاً من ذلك الصنم أن تقع عين الإنسان عليه فلا يزال قائماً حتى يتلف. قال: وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما أمكنهم وهلك لذلك خلق كثير. ويقال: إنه عمل في بعض المدن الداخلة مرآة من أخلاط ترى جميع ما يسأل الإنسان عنه وهي غربي البلد. قال: وعمل خلف الواحات الداخلة مدناً عمل فيها عجائب كثيرة ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها، فما يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخلها أو يعمل قرابين أولئك الروحانيين فيصل إليها حينئذ ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر".

(النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص ١٥٦٤)

المدينة المتحاسدة

٧ـ ويقال: إنه الذى عدل جانبى النيل وقد كان يفيض فى مواضع وينقطع فى مواضع، وأمره البودسير أن يسير مغرباً فينظر إلى ما هناك، فوقع على أرض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب، فبنى منائر ومنتزهات، وحول إليها جماعة من أهل بيته فعمروا تلك النواحى وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب كلها عمارة، وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فتناكحوا، ثم إنهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض، وكانت بينهم حروب فخرب البلد وباد أهله إلا بقية منازل تسمى الواحات هى موجودة إلى وقتنا هذا.

(النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ص ١٥٦٥)

مدينة الكنوز

٨ـ "حكى أن رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، وعمر رضى الله عنه يومئذ عامل على مصر وأعمالها، فعرفه أنه رأى فى صحراء الغرب بالقرب من شنترية، وقد أوغل فيها فى طلب جمل له ند منه، مدينة قد خرب الأكثر منها وأنه قد وجد فيها شجرة عظيمة بساق غليظ تثمر من جميع أنواع الفواكه، وأنه أكل منها كثيراً وتزود. فقال له رجل من القبط: هذه إحدى مدينتى هرمس الهرامسة وبها كنوز عظيمة. فوجه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مع ذلك الرجل جماعة من ثقاته واستوثقوا من الزاد والماء عن شهر، وطافوا تلك الصحارى مراراً فلم يقفوا على شىء من ذلك".

(ابن الوردى، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ١٣)

المدينة الرغدة

٩ـ "ويحكى: أن عاملاً من عمال العرب جار على قوم من الأعراب فهربوا من عنفه وجوره ودخلوا صحراء الغرب ومعهم من الزاد ما يكفيهم مدة،

فسافروا يوماً أو بعض يوم فدخلوا جبلاً فوجدوا فيه عنزاً كثيرة وقد خرجت من بعض شعاب الجبل، فتبعوها فنفرت منهم فأخرجتهم إلى مساكن وأنهار وأشجار ومزارع وقوم مقيمين فى تلك الناحية قد تناسلوا وهم فى أرغد عيش وأنزه مكان، وهم يزرعون لأنفسهم ويأكلون ما يزرعون بلا خراج ولا مقاسمة ولا طلب. فسألوهم عن حالهم فأخبروهم أنهم لم يدخلوا إلى بلاد العرب ولا عرفوها. فرجع هؤلاء القوم الذين هربوا من العامل إلى أولادهم وأهليم ودوابهم فساقوها ليلاً وخرجوا بهم يطلبون ذلك المكان، فأقاموا مدة طويلة يطوفون فى ذلك الجبل فلم يقفوا لهم على أثر، ولا وجدوا لهؤلاء من خبر".

(ابن الوردى: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ١٣)

مدينة الحصن العظيم

١٠ـ "ويحكى أن موسى بن نصير لما قلد الغرب ووليها فى زمان بنى أمية، أخذ فى السير على ألواح الأقصى بالنجوم والأنواء وكان عارفاً بها فأقام سبعة أيام يسير فى رمال بين مهبى الغرب والجنوب، فظهرت له مدينة عظيمة لها حصن عظيم بأبواب من حديد، فرام أن يفتح باباً منها فلم يقدر وأعياه ذلك لغلبة الرمل عليها فأصعد رجلاً إلى أعلاه فكان كل من صعد ونظر إلى المدينة صاح ورمى بنفسه إلى داخلها ولا يعلم ماذا يصيبه ولا مايراه، فلم يجد له حيلة، فتركها ومضى".

(ابن الوردى، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٤)

مدينة الذهب والقصور

١١ـ "وحكى أن رجلاً من صعيد مصر أتاه رجل آخر وأعلمه أنه يعرف مدينة فى أرض الواحات بها

كنوز عظيمة. فتزودا وخرجا، فسافرا فى الرمل ثلاثة أيام ثم أشرفا على مدينة عظيمة بها أنهار وأشجار وأثمار وأطيار ودور وقصور، وبها نهر محيط بغالبها وعلى ضفة النهر شجرة عظيمة، فأخذ الرجل الثانى من ورق الشجرة ولفها على رجليه وساقيه بخيوط كانت معه وفعل برفيقه كذلك، وخاضا النهر فلم يتعد الماء الورق ولم يجاوزه، فصعدا إلى المدينة فوجدا من الذهب وغيره ما لا يكيف ولا يوصف، فأخذا منه ما أطاقا حمله ورجعا بسلامة وتفرقا، فدخل الرجل الصعيدى إلى بعض ولاة الصعيد وعرفه بالقصة وأراه من عين الذهب، فوجه معه جماعة وزودهم زاداً يكفيهم مدة، فجعلوا يطوفون فى تلك الصحارى ولا يجدون لذلك أثراً، وطال الأمر عليهم فسئموا ورجعوا بخيبة".

(ابن الوردى، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ١٤)

★ إن نصوص المدن المسحورة بالمدونات تشير صراحة إلى هذه الحياة الخالية من الكد والشقاء التى يحياها من يدخل هذه المدن، فالمسعودى (٣٤٦هـ) يورد أخبار مدن العجائب خلف الواحات الداخلة، وكيف أن من يصل إليها "يأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر"، وينقل عنه دون إشارة إليه النويرى (٧٣٣هـ)، وكذلك ينقل أيضا المقريزى (٨٤٥هـ) نفس الحكاية، أما ابن الوردى (٧٤٩هـ) فيصف تلك المدينة الرغدة التى يسكنها "قوم مقيمون، تناسلوا وهم فى أرغد عيش وأنزه مكان"، والمقريزى (٨٤٥هـ) يورد فى خبر مدينة المساكن والمياه أن التائه في صحراء الغرب "انتهى إلى مساكن وأشجار، ونخل ومياه تطرد وقوم هناك يرعون، ولهم مساكن، وكلمهم وأعجب بهم، فجاء إلى أصحابه، وقدم بهم على أولئك

القوم، فسألوهم عن حالهم فأخبروهم، وأقاموا عندهم حتى صلحت أحوالهم".

ورغم أن ملامح هذا المجتمع الأمومى لا تتضح بصورة جلية سواء فى المرويّات الشفاهية عن المدن المسحورة أو فى المدونات، لكنها تبدو واضحة فى الحكاية الشعبية، كما أن رحلة الخروج للصحراء التى يقوم بها الواقع على المدينة المسحورة، وإن كانت رحلة ذكورية خالصة، إلا إنها من زاوية أخرى، تستعيد ذكرى ذلك المجتمع الأمومى، فالخارج للصحراء يترك خلفه دائما زوجه وأولاده، دونما شعور بأن ثمة ما يسوء فى هذا الأمر، فيما يرد بهذه المدن المدونة أن فقدان هذه الجنة الأرضية غالبا ما يحدث عندما يرغب هذا الرجل فى الرجوع لأهل بيته لكى يصطحبهم معه.

أمـا الامـتـنـاع عن البـيـع والشـراء والمبـادلة وعـدم وجـود تعـامـلات نـقـدية فــهي من سـمـات هـذه المدن المسحـورة، "فلا نقود للتعامل في هذه المدينة، اللهم إلا الصلاة على النبي".

صنم الصوان

ومما عـمل في وقـت «البـودشـيـر»، وكـانـت الرمـال قـد كـثـرت عليـهم من نـاحية الغـرب حـتى ربما طمت زروعـهـم، فـعـمل لذلك صـنم مـن صـوان أسـود على قـاعـدة منه وفي يده كـالقفـة فـيـهـا مـسـحـاة ونقش على جبـهته وصـدره وذراعيه وسـاقـيه كتـابات، ووجه به إلى المغرب، وجعل هناك فانكشفت تلك الرمـال وزحـفت بـها الرياح إلى ورائهـا لتلك الأكـام العـالـيـة في صـحـراء المغــرب، فلم يزل الرمل يندفـع عنهم إلى وراء ذلك الصـنم حـتى صـار بحــيث لا يؤذيـهم منـه شيء ولا يضـرهـم.

«أخبار الزمان، ص ١٦٠ ـ ١٦١»

منارة (مسلة) عين شمس

منارة مربعة علوها مقدار مائة ذراع من الرخام المجزع الصافى قطعة واحدة محددة الرأس على قاعدة من الرخام كالبيت وعلى رأسها غشاء من صفر كالذهب حسناً فيه صورة إنسان على كرسى مستقبل مشرق الشمس ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل على ذلك الحجر حتى ينتهى مقدار عشرة أذرع فى رؤية العين وقد نبت من ذلك الماء على الحجر شىء أخضر كالطحلب يراه الناس ولا يبرح لمعان الماء على تلك الصخرة أبداً صيفاً وشتاء وقد رأيته مرات وأهل مصر يقولون ما زلنا نرى هذا الماء صيفاً وشتاءً لا ينقطع ولا يصل إلى الأرض منه شىء.

الغرناطى / تحفة الألباب / ص ٧٣ ـ ٧٤

★ المسلة عبارة عن عمود قائم من كتلة حجرية واحدة، قاعدته مربعة الشكل ومسلوبة إلى أعلى تنتهى

بشكل هرمى، وتقام على قاعدة من الجرانيت أمام المعابد ومكتوب على أوجهها الأربعة اسم الملك والسبب الذى دعاه إلى إقامة هذه المسلة.

أطلق عليها المصرى القديم اسم (تخن) أى أصبع الشعاع المضىء، وعندما جاء اليونانيون إلى مصر شبّهوها بالرمح ثم صغّروا الكلمة لتعبّر عن سيخ الشوى وأطلقوا عليها obeliskos، أما التسمية العربية فهى تعبّر عن إبرة الخياطة الكبيرة، وأصبحت تعرف باسم (المسلة).

ومن التسميات التى أطلقها الأتراك العثمانيون على المسلات اسم (إبر الفراعنة) بعد أن شاع اعتقاد خرافى بأن الفراعنة كانوا ضخام الأجسام سخطهم الله أحجاراً وتماثيل ضخمة، وأنهم كان يخيطون ثيابهم بتلك (الإبر) الحجرية.

كانت مدينة (هليوبوليس) ـ أو (أون) تقع إلى الشمال الشرقى من القاهرة تعرف الآن باسم (عين شمس) ـ منذ أوائل العصور التاريخية، من المدن

المقدسة عند المصريين القدماء، ونعرف أنه كان من بين الرموز المقدسة التى ظهرت فى هذه المدينة، ذلك الحجر الهرمى الشكل ذوالقمة المدببة الذى يعرف فى اللغة المصرية القديمة باسم (بن بن) وهوالحجر الذى تطوّرت عنه فكرة المسلة. ويرمز حجر الـ (بن بن) الهرمى الشكل المربع القاعدة إلى أركان الدنيا الأربعة التى تتجه بقمتها نحو السماء، ووصف بأنه صنع من حجر كريم معدنى المظهر، ووصفته الأساطير بأنه كان يعكس أشعة الشمس من وقت شروقها إلى أن تختفى فى الأفق ثم يشع ضوؤها طوال الليل وينير ساحة المعبد حتى يستقبل شروقها.

ومن العقائد القديمة التي ارتبطت بهرم الـ (بن بن) أن الشمس تشرق من فوق قمة هرمية ترتكز عليها لتصعد إلى السماء وتدور دورتها ثم تعود إلى الهرم وتسكن فيه حتى تستريح، ثم تصعد إلى قمته لتدور دورتها مرة أخرى. ولذلك فقد أطلق على الهرم بيت الإله.

ومن الرموز المقدسة التى ظهرت أيضاً الطائر المعروف باسم (بنو) (ربما طائر الفونكس أوالعنقاء أوالسمندل)، والذى يقال إنه دائم الطيران، ولا يحط إلا على قمم الأشجار العالية أو الجزء الأعلى المدبب القمة، من حجر الـ (بن بن).

ومن الأسرة الخامسة الفرعونية (٢٥٦٠-٢٤٢٠ق.م) بدأت المسلة تقوم بدور مهم فى معابد الشمس المصرية، بل وأصبحت الرمز الحقيقى لإله الشمس (رع)، وكان معبد الشمس فى هذه الفترة من تاريخ مصر عبارة عن فناء واسع مكشوف، فى مؤخرته مسلة عظيمة تشبه الـ (بن بن)، ترتفع فوق قاعدة، وعندما تسقط أشعة الشمس المشرقة على قمة المسلة المغطاة بطبقة رقيقة من مادة (السام) أو(الإلكتروم) وهوخليط من الذهب والفضة والنحاس، فإنها تعكس أشعتها وتجعلها متوهجة مثل الشمس مما أدى إلى الاعتقاد بأن المسلة نفسها هى مسكن الإله ورمزه المقدس.

وفى الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١-١٨٠٠ق.م) أقام الملك سنوسرت الأول (١٩٦٢-١٩٢٨ق.م) مسلتين أمام معبد الشمس للإله (رع) فى مدينة هليوبوليس، بمناسبة احتفاله بعيد السد (عيد التتويج) يبلغ ارتفاع كل واحدة منهما ٢٠م وتزن نحو١٢١طناً، ولا تزال إحداهما قائمة مكانها (وتعد أقدم المسلات الخمس التى لاتزال قائمة فى مكانها)، وقد نُقش على كل جانب من جوانبها ما يدل على أن مقيمها هوالملك (سنوسرت الأول الذى تحبه أرواح عين شمس المقدسة وأجداده من الملوك الذين توفوا قبله، تذكاراً لعيد السد الثلاثين لتوليه الحكم وهديه لوالده الإله رع). وقد قدت هذه المسلة من حجر الجرانيت الوردى الذى كان يجلب من مدينة أسوان الواقعة فى جنوب مصر.

وابتداء من الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥-١٣٠٨ق.م) اهتم الملوك بتشييد المسلات لتسجيل

ذكرى الاحتفال بتتويجهم، أقام الملك تحتمس الأول (١٥٢٨-١٥١٠ ق.م) مسلتين من الجرانيت الوردى فى الفناء الذى يتوسط الصرحين الرابع والثالث لمعبد الكرنك بالأقصر.

ونجد أنه هنا يتفاخر بسيادته على العالم، كما ورد فى النقوش التى سجلها بقوله المشهور: (لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس، وقويت الذين كانوا فى خدمتى، وطردت عنهم الشر، وجعلت مصر سيدة العالمين) ويبلغ ارتفاع كل مسلة - وهى منحوتة من قطعة واحدة من الجرانيت الوردى - ٢١,٧٥ متراً، وطول ضلع قاعدتها المربعة ١,٨٤متر، كما يبلغ وزنها ١٤٥ طناً تقريباً، أما الملكة حتشبسوت (١٤٩٠-١٤٦٨ ق.م) فقد أمرت بإقامة مسلتين من الحجر الوردى من محاجر أسوان للإله (أمون) فى فناء الصرحين الرابع والخامس من معابد الكرنك وبلغ ارتفاع كل واحدة منهما ٢٩,٥٠ متراً على قاعدة مربعة طول ضلعها ٢,٦٠ متراً وتزن ٣٢٣ طناً.

وقـد أقـام تحـتـمس الثـالث (١٤٦٨-١٤٣٦ق.م) مسلتين أمام الصرح السـابع جنوب الكرنك احتفالاً بعيد تتويجه الأول. وفي الذكرى الثانية أقام مسلتين، إحداهما تعرف الآن بمسلة القسطنطينية – استانبول حالياً –، وقد كان تحتمس الرابع (١٤١٣-١٤٠٥ق.م) هوالملك الوحيد الذى أقام مسلة منفردة، وهى المسلة المعروفة الآن بمسلة (اللاتيران) فى روما، وتعتبر من أعلى المسلات المصرية، حيث يصل ارتفاعها إلى ٣٠,٧٠ متراً.

ولادة المسلة:

نُحتت المسلات من حجر الجرانيت الأحمر الأسوانى أى من مدينة أسوان الواقعة على بعد ٩٥٠ كم جنوب القاهرة، وجدير بالذكر أن منطقة أسوان هى المنطقة التى استمر المصرى القديم يجلب منها الجرانيت طوال فترة التاريخ المصرى القديم.

وفى أحد هذه المحاجر ترك المصرى القديم مسلة غير كاملة بعد أن خلّص جوانبها من المحجر فيما عدا الجانب الأسفل، بعد أن لاحظ بعض العيوب الطبيعية فى الكتلة الحجرية، ولوكان قد أكمل هذا العمل لوصل ارتفاع المسلة إلى ٤١,٧٥ متراً، فى حين أن وزنها يقدر بحوالى ١١٦٨طناً، وبذلك تعتبر من أضخم المسلات المصرية.

وكان يبدأ عمل المسلة أولاً باختيار المكان المناسب فى المحجر بحيث لا يوجد بالمكان شقوق أوشوائب، ثم يحدد حجم المسلة وأطوالها وأبعادها فوق المكان المطلوب.

ثم يتم تسوية الجزء الأعلى للكتلة المختارة عن طريق إحاطة المواضيع الناتئة بالطوب (اللبن) الذى توقد من حوله نيران قوية ثم تصب عليها مياه باردة وبذلك تسهل عملية إزالة القطع الناتئة لتصبح واجهة الحجر ملساء.

أما بالنسبة إلى عملية استخلاص جوانب المسلات فقد كان يتم عن طريق استخدام قطع من حجر

الديوريت القاسي حيث تزن كل قطعة حوالى خمسة كيلوجرامات والمحاطة جوانبها بالحبال ويقوم على استخلاص الجوانب عدد من العمال يشكلون فى مجموعات ثلاثية، اثنان من المجموعة يرفعانها وهما واقفان بينما يجلس الثالث القرفصاء لتوجيه الكتلة عند نزولها من أعلى إلى أسفل إلى الموضع الصحيح، وقدر عدد العمال المشتركين فى استخراج المسلة بعدة آلاف، من بينهم مجموعة تقوم بالغناء للحفاظ على نظام العمل ولتخفيف قسوته، وأخيراً يتجهون بكل حذر وعناية إلى تخليصها من الواجهة المدفونة تحت سطح الحجر، فقد كان يتم بحفر أنفاق فى الصخر توضع فيها كتل خشبية تغرّق فى الماء بعد وضعها فى تلك الأنفاق مما يؤدى إلى تمدد الأخشاب التى تؤدى بدورها إلى تشقق هذه الأنفاق ثم يستخدمون الأزاميل المعدنية لعزلها تماما عن الصخور.

وهنا تبقى مشكلة النقل، فقد كان المصريون يستخدمون الزحافات التى تجرها الثيران فى نقل

الأحجار الكبيرة والتماثيل. ويبدو أن المصريين كانوا يستعملون إحدى طريقتين لنقل المسلة من المحجر إلى شاطئ النيل، حيث توجد المراكب لنقلها إلى المعبد، الطريقة الأولى: هي استعمال الدرافيل من جذوع النخيل كاملة الاستدارة، توضع تحت المسلة لتسهيل نقلها. والطريقة الثانية: هي وضعها على زحافة، وفي الطريقتين كان يستعمل اللبن للتشحيم لمنع عوارض الزحافة من الاشتعال نتيجة الاحتكاك.

أما بالنسبة لإقامة المسلة في المكان المختار لها فهناك عدة نظريات منها أنه كان يعد طريقاً يوصل من شاطئ النيل إلى واجهة المعبد أي المكان المختار لإقامة المسلة. وفي مقابل هذا الطريق أقيم جدار مرتفع ليكوّن مع الطريق فتحة تشبه القمع فتحته إلى أسفل مملوء بالرمال وفي أسفله نفق أوفتحة وبذلك تنزلق المسلة بيسر لتستقر على القاعدة المعدة من قبل. أما بالنسبة إلى المكان الذي كانت تنقش فيه المناظر والنصوص على المسلة، فإنه يعتقد أن هذا

العمل كان يبدأ فى المحجر بنقش ثلاثة جوانب للمسلة، أما الجانب الرابع فغالباً ما كان يتم فى مكان إقامتها.

مسلات مهاجرة:

لقد اختفت المسلات المصرية من معظم سماء مصر فى عصور مختلفة لترتفع قائمة فى عواصم العالم، وقد كان فى مصر ما لا يقل عن مائة مسلة لم يبق منها بين أطلال المعابد سوى خمس مسلات، وهجرة المسلات من مصر إلى الخارج بدأت منذ ما قبل الميلاد حيث تشير المصادر المكتوبة إلى أن آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) ملك آشور قد استولى بعد فتحه لمصر سنة ٦٦٥ ق.م على مسلتين مكسوتين بالبرونز نقلهما من (طيبة) إلى (نينوى) عاصمة المملكة الآشورية.

وكذلك عندما حكم الرومان مصر فقد نقلوا العديد من المسلات إلى روما والقسطنطينية، ثم توالت بعد

ذلك عمليات نقل المسلات المصرية إلى الخارج. ومن أشهر المسلات التى تم نقلها إلى خارج مصر:

١- مسلة القسطنطينية:

هى إحدى مسلات الملك تحتمس الثالث نقلها الإمبراطور (تيودوروس) من (طيبة) عام ٥١٠م. وهى فى الواقع الجزء الأعلى من مسلة مماثلة فى الطول لمسلة اللاتيران فى روما. وتنص النقوش المحفورة على جوانبها: (من خبر رع.. رع (تحتمس الثالث) رب النصر قائم على كل البلاد الذى جعل حدوده تصل إلى قرون الأرض ومياه النهرين، بقوة وظفر على رأس جيشه الظافر موقعاً مذبحة عظيمة. أقامها تخليداً لوالده (آمون رع) رب طيبة الذى رباه وهو طفل بين ذراعى الإلهة (نيت) الأم المقدسة ليكون ملكاً، وهذا ما يفسر لنا أنها إحدى المسلتين اللتين أقامهما فى عيد تتويجه الثانى بعد عبوره نهر الفرات.

٢- مسلة باريس:

ترجع هذه المسلة إلى الملك رمسيس الثانى

(١٢٩٠- ١٢٢٤ق.م) الذى شيّدها أمام معبد الأقصر عام ١٢٨٠ق.م، وقد نقلها الفرنسيون إلى فرنسا عام ١٨٣٣م، وأقامها المهندس الفرنسى (ليباس) فى وسط ميدان (الكونكورد) بباريس فى احتفال صاخب فى أكتوبر ١٨٣٦م. ومازالت المسلة المصرية تتوسط الميدان الباريسى حتى الآن، تقف شامخة بالنص الهيروغليفى المكتوب عليها: (رمسيس.. قاهر كل الشعوب الأجنبية السيد على كل من لبس تاجاً، المحارب الذى هزم الملايين من الخصوم والأعداء والذى خضع العالم كله لسلطانه، ومعترفاً بقوته التى لا تُقهر).

وهى من الجرانيت الوردى ويبلغ ارتفاعها ٢٢,٥٥ متراً، ويقدر وزنها بحوالى ٢٢٧ طناً، وقد انتقلت إلى باريس ثلاث مسلات أخرى قبل مسلة الكونكورد، واحدة تتوسط ساحة (الونتابلو) انتقلت مع نابليون أثناء الحملة الفرنسية، والثانية فى (فنسان)، والثالثة فى (أرل)، وتقل جميعها من الناحية التاريخية وفى الحجم عن مسلة رمسيس الثانى.

٣- مسلة روما:

هي آخر المسلات التي أقامها سيتي الأول (١٣٠٧-١٢٩١ ق.م) ومات قبل أن ينقشها، وقد أتمها ابنه رمسيس الثاني، وهي منصوبة الآن في ميدان (بيازا - دل - بوبولو) في روما، وقد نقلت إلى روما أواخر عهد الحكم الروماني.

كما تم نقل مسلة الملك تحتمس الرابع إلى روما وهي المعروفة الآن باسم (اللاتيران) في روما، وتعتبر من أعلى المسلات المصرية حيث يصل ارتفاعها إلى ٣٠,٧٠ متراً وقد نقلها القيصر قسطنطين إلى إسكندّرية عام ٣٣٠م ومنها إلى بيزنطة، ولكن ابنه نقلها فيما بعد إلى روما، حيث استقرت في مكانها الحالي أمام كنيسة القديس (جيوفاني) في روما.

٤- مسلة لندن:

إحدى المسلتين اللتين أقامهما الملك تحتمس الثالث أمام معبد عين شمس ثم نقلتا إلى أمام معبد

قيصريون، ويقال إن الإمبراطور (أغسطس) نقلها إلى هذا المكان من عين شمس فى السنة العاشرة ق.م. وقد عرفت المسلتان خطأ بمسلتى (كليوباترا) وربما كان السبب فى ذلك أن (كليوباترا) كانت البادئة فى بناء معبد قيصريون على شرف (قيصر) ثم بعد وفاتها قام أغسطس بنقل المسلتين فنسبتا إليها. وقد نُقلت إحدى المسلتين إلى لندن سنة ١٨٧٧ م، ونقلت الأخرى إلى نيويورك سنة ١٨٨٠م. ويبلغ ارتفاع مسلة لندن - على نهر التايمز - ٧٨, ٢٠متراً ووزنها حوالى ١٨٧ طناً. وقد أهداها محمد على باشا إلى الأمة الإنجليزية عام ١٨٣١م بعد أن كانت قد أهديت لها عدة مرات من قبل، وقد بقيت بعد إهدائها ملقاة على الأرض لصعوبة نقلها حتى عام ١٨٧٧م وهو العام الذى نقلت فيه على يد السير (أرزمس ولسن) على ظهر سفينة خاصة أطلق عليها اسم (كليوباترا) تجرها باخرة ضخمة تدعى (أولجا) واصطدمت الباخرة فى الطريق بباخرة أخرى مما أدى إلى فقدان عدد من رجالها، وأنقذت (كليوباترا) حاملة المسلة من

الغرق بباخرة أخرى اسمها (فترموريس)، وكان ذلك الحادث حديث الصحافة العالمية التى أشارت إلى (لعنة الفراعنة)، كذلك بعد وصول المسلة إلى لندن وبعد أن تم رفعها لإقامتها فى مكانها، فقد انقطعت الحبال التى تربطها وسقطت المسلة من فوق البرج، ولكنها نجت بأعجوبة، وقد استغرق نقل المسلة وإقامتها مكانها اثنى عشر شهراً.

٥- مسلة نيويورك:

أرادت الولايات المتحدة أن تجارى كلا من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا على تزيين أحد ميادين مدنها الكبرى بمسلة من المسلات المصرية القديمة، فتم نقل المسلة الثانية وهى من مسلات الملك تحتمس الثالث التى كانت لاتزال قائمة فى إسكندرية إلى نيويورك عام ١٨٨٠م، بعد نقل مسلة لندن بثلاث سنوات، ونُقلت المسلة من إسكندرية إلى الشاطئ على زحافة كبيرة تتحرك على درافيل خشبية، ثم وضعت فى صندل بحرى على شكل ماسورة مغلقة لا تصل إليها المياه، وجرتها قاطرة بحرية ضخمة عبر المحيط حتى وصلت

إلى نيويورك، واستغرقت رحلتها البحرية خمسة أشهر، وفي نيويورك تم رفعها وإقامتها على القاعدة التي أعدت لها بواسطة نفس الآلة وأبراج الرفع التي استعملت في لندن. ويبلغ ارتفاع مسلة نيويورك ٢٠, ١٢ متراً ووزنها ١٩٣ طنا.

وبهذه النظرة على المسلات المصرية الخالدة نستطيع القول إن المصريين القدماء قاموا بعمل يعتبر حتى الآن من الأعمال الباهرة التي يندهش لها الإنسان في كل زمان ومكان، فسمو فكرتها ودقة صنعها وقطعها من الحجر قطعة واحدة ونقلها وتركيبها في أماكن بعيدة يدل أيضاً على مقدرة المعماريين المصريين القدماء وخاصة من حيث قطعها من مكان خال من العيوب والشروخ في الجبل.

ويأتي انتقال كثير من المسلات إلى خارج مصر - رغم إرادة المصريين غالباً - ليجعل منها سفيرة تعبّر عن عظمة الحضارة المصرية، ورسالتها، وأفكارها، تنتصب بشموخ في عواصم العالم، شاهدة على براعة المهندس، والفنان، والحرفي في مصر القديمة، ورقة العمل الفني ودقته.

إسكندرية

قال ابن غفير: إن أول من بنى إسكندرية جبير المؤتفكى وكان قد سخر بها سبعين ألف بناء وسبعين ألف مُخندق وسبعين ألف مُقنطر فعمرها فى مائتى سنة، وكتب على العمودين اللذين عند البقرات بإسكندرية، وهما أساطين نحاس يعرفان بالمسلتين: أنا جبير المؤتفكى عمرت هذه المدينة فى شدتى وقوتى، وكنزت أموالها بطبق من نحاس وجعلته داخل البحر.

ويقال: إن ما دعا جُبَيراً المؤتفكى إلى بنائها أنه وجد بالقرب منها فى مغارة على شاطئ البحر تابوتاً من نحاس ففتحه فوجد فيه تابوتاً من فضة، ففتحه فإذا فيه دُرج من حجر الماس، ففتحه فإذا فيه مكحلة من ياقوتة حمراء مرودها عرق زبرجد أخضر فدعا بعض غلمانه فكحل إحدى عينيه بشيء مما كان فى تلك المكحلة فعرف مواضع الكنوز ونظر إلى معادن

الذهب ومغاص الدر، فاستعان بذلك على بناء إسكندرية وجعل فيها أساطين الذهب والفضة وأنواع الجواهر حتى إذا ارتفع بناؤها مقدار ذراع أصبح وقد ساخ فى الأرض، فأعاده أيضاً فأصبح وقد ساخ فمكث على ذلك مائة سنة كلما ارتفع البناء ذراعاً أصبح سائخاً فى الأرض فضاق ذرعاً بذلك، وكان من أهل تلك الأرض راع يرعى على شاطئ البحر وكان يفقد فى كل ليلة شاة من غنمه إلى أن أضر به ذلك فارتصد ليلة، فبينما هو يرصد إذا بجارية قد خرجت من البحر كأجمل ما يكون من النساء فأخذت شاة من غنمه فبادر إليها وأمسكها قبل أن تعود إلى البحر وقبض على شعرها فامتنعت عليه ساعة ثم قهرها وسار بها إلى منزله فأقامت عنده مدة لا تأكل إلا اليسير ثم واقعها فأنست به وبأهله وأحبتهم ثم حملت وولدت فازداد أُنسها وأنسهم بها، فشكوا إليها يوماً ما يقاسونه من تهدم بنائهم وسيوخه كلما علَّوه، فعملت لهم الطلسمات وصورت لهم الصور فاستقر

البناء وتم أمر المدينة وأقام بها جُبير المؤتفكى خمسمائة سنة ملكاً لا ينازعه أحد، وهوالذى نصب العمودين اللذين بها ويسميان المسلتين. وكان أنفذ فى قطعهما وحملهما إلى جبل بريم الأحمر سبعمائة عامل، فقطعوهما وحملوهما، ونصبهما فى مكانهما غلام له يقال له قطن بن جارود المؤتفكى وكان أشد من رُؤى فى الخلق، فلما نصبهما على السرطانين النحاس جعل بإزائهما بقرات نحاس كتب عليها خبره وخبر المدينة وكيف بناها ومبلغ النفقة عليها والمدة.

« ...و» كانت إسكندرية لشدة بياضها لا يكاد يبين دخول الليل فيها إلا بعد وقت، فكان الناس يمشون فيها وفى أيديهم خرق سود خوفاً على أبصارهم، وعليهم مثل لبس الرهبان السواد، وكان الخياط يدخل الخيط فى الإبرة بالليل، وأقامت إسكندرية سبعين سنة ما يُسرج فيها.

ياقوت / معجم البلدان / ج١ / ص ١٨٤ ـ ١٨٦

★ إسكندرية تُلقب باسم عروس البحر المتوسط، هى ثانى أكبر مدينة فى مصر بعد مدينة القاهرة، وأكبر مدينة وميناء على البحر المتوسط.. وتعتبر العاصمة الثانية لمصر والعاصمة القديمة لها، تقع على امتداد ساحل البحر المتوسط بطول حوالى ٧٠ كم شمال غرب دلتا النيل، تضم إسكندرية بين طياتها الكثير من المعالم المميزة، إذ يوجد بها أكبر ميناء بحرى فى مصر هو ميناء إسكندرية والذى يخدم حوالى ٨٠٪ من إجمالى الواردات والصادرات المصرية الحالية، وتضم أيضًا مكتبة إسكندرية الجديدة التى تتسع لأكثر من ٨ ملايين كتاب، كما تضم العديد من المتاحف والمواقع الأثرية مثل قلعة قايتباى وعمود السوارى وغيرها.

بدأ العمل على إنشاء إسكندرية على يد الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق.م عن طريق ردم جزء من المياه يفصل بين جزيرة ممتدة أمام الساحل الرئيسى تدعى

"فـاروس" بهـا مـيناء عـتـيق، وقـرية صـغـيـرة تدعى "راكتوس" أو"راقودة" يحيط بها قرى صغيرة أخرى تنتشر كذلك ما بين البحر وبحيرة مريوط، واتخذها الإسكندر الأكبر وخلفاؤه عاصمة لمصر لما يقارب ألف سنة، حتي غزو العرب لمصر على يد عمرو بن العاص سنة ٦٤١.. اشتهرت إسكندرية عبر التاريخ من خلال العديد من المعالم مثل مكتبة إسكندرية القديمة التى كـانت تضم مـا يزيد على ٧٠٠,٠٠٠ مـجلّد، ومنارة إسكندرية والتى اعـتـبـرت من عـجـائب الدنيـا السبع، وذلك لارتفاعها الهائل الذى يصل إلى حوالى ٣٥ متراً، وظلت هذه المنارة قائمة حتى دمرها زلزال قوى سنة ١٣٠٧.

اتسمت إسكندرية فى مطلعها بالصبغة العسكرية كـمـدينة للجند الإغـريق، ثم تحـولت أيام البطالمة الإغريق إلى مدينة ملكية بحدائقها وأعمدتها الرخامية البيضاء وشوارعها المتسعة، وتحوّلت فى ذلك الحين إلى عاصمة لمصر، وأصبحت أهم حواضر العلوم

والفنون بعد أن شيد فيها البطالمة عدداً من المعالم الكبرى من شاكلة مكتبتها الضخمة التى تعد أول معهد أبحاث حقيقى فى التاريخ، ومنارتها التى أصبحت أحد عجائب الدنيا السبع فى العالم القديم، وكانت تطل على البحر جنوب شرقى الميناء الشرقى الذى كان يطلق عليه الميناء الكبير؛ إذا ما قورن بينه وبين ميناء هيراكليون عند أبى قير على فم أحد روافد النيل القديمة التى اندثرت.

خضعت المدينة اسمياً للرومان سنة ٨٠ ق.م، وفقاً لرغبة بطليموس العاشر، واستمر الأمر على هذا المنوال قرابة قرن من الزمن قبل أن تسقط بيد يوليوس قيصر سنة ٤٧ ق.م، عندما استغلت روما النزاع والحرب الأهلية القائمة بين بطليموس الثالث عشر ومستشاريه وشقيقته كليوباترا السابعة، وبعد عدة معارك انتصر قيصر وتم قتل أخيها بطليموس، وبذلك استطاعت كليوباترا الانفراد بحكم مصر، سقطت المدينة بيد القائد "أوكتافيوس" الذى

أصبح لاحقًا الإمبراطور "أغسطس" فى ١ أغسطس سنة ٣٠ ق.م، وبهذا أصبحت مصر ولاية رومانية. ظلت إسكندريه أكبر مدينة فى الإمبراطورية الرومانية الواسعة بعد روما العاصمة، وأقدم الرومان على عمل العديد من الإصلاحات فيها، فقاموا بتجديد وإعادة حفر القناة القديمة التى كانت تربطها بنهر النيل والبحر الأحمر لخدمة التجارة.. غير أن كل ذلك لم يوقف حركات التمرد والتوتر فى المدينة والتى وصف أحد الكتاب القدماء أهلها بأنهم "الأكثر رغبة فى الثورة والقتال من أى قوم أخر"، فمن تمرد اليهود فى عام ١١٦م، والتوتر المتواصل بين اليهود واليونان على مسائل قديمة، فضلاً عن احتجاج السكندريين بصفة عامة على الحكم الرومانى، والذى أدى فى عام ٢١٥م وعلى إثر زيارة الإمبراطور الرومانى إلى إسكندرية إلى قتل ما يزيد على عشرين ألف سكندرى بسبب قصيدة هجاء قيلت فى الرجل لعلها كانت من أعمال الشهداء السكندريين. غير أن

من أهم أسباب الاضطراب هو أن العالم قد شهد أحد أهم الأحداث فى التاريخ وهو ميلاد الديانة المسيحية، والتى تزامنت مع بداية الحكم الرومانى فى مصر، فقد بدأ عصر جديد من الاضطهاد حيث كانت روما تريد فرض عبادة الإمبراطور على المصريين.

اكتسبت المسيحية قوة كبيرة رغم كل النزاعات وذلك فى مواجهة الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٨-٣٩٥م) الذى أصدر، لمواجهة المعتقدات المصرية، مرسوماً ببطلان العبادات المصرية، فعقد بطريرك الإسكندرية ثيوفيلوس (٣٨٥-٤١٢م) عزمه على تنفيذ المرسوم الإمبراطورى بدقة وحزم وقد عاونه أتباعه وقوات الإمبراطور، فتم تدمير عدد من المعابد المصرية وتحويل بعضها الآخر إلى كنائس مثل معبد سرابيوم المقام للإله سيرابيس وذلك فى عام ٣٩١م حيث شيدت على أطلاله كنيستان.

فى العصور الوسطى

خضعت إسكندرية للإمبراطورية البيزنطية بعد

انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: غربى رومانى وشرقى بيزنطى، وفى القرن السابع الميلادى كانت الإمبراطورية البيزنطية قد وصلت إلى حالة بالغة من الضعف، فشجع ذلك الإمبراطورية الفارسية الساسانية فى الشرق على الهجوم على ممالكها واحتلال الشام ومصر، فدخل الفرس إسكندرية ونهبوا المدينة وقتلوا الكثير من أهلها، لكن الحكم الفارسى لم يدم إلا بضع سنين حيث استطاع الإمبراطور هرقل استرداد إسكندرية من جديد. وقد أراد هرقل تعيين بطريرك قوى فى إسكندرية يسند له الرئاسة السياسية بجانب سلطته الدينية ليكون قادراً على قهر الأقباط فعين بطريركًا رومانيًا يدعى "كيرس" والمعروف عند مؤرخى العرب باسم "المقوقس"، لتحقيق هذه الغاية، إلا أنه فشل فى ذلك.

بعد وفاة النبى محمد، خرج العرب المسلمون للغزو من شبه الجزيرة إلى أنحاء العالم المعروف، فانطلق عمرو بن العاص من الشام إلى مصر

مصطحبا معه الجند البيزنطيين المرتزقة وقبائل الغساسنة والمناذرة والأنباط، بعد أن شاور الخليفة عمر بن الخطاب، سالكًا الطريق التى سلكها قبله قمبيز وإسكندر الأكبر. واصطدمت هذه القوات بالروم فى مدينة الفرماء، مدخل مصر الشرقية، فسقطت المدينة بيد عمرو، بعد موالسات من المقوقس والجند البيزنطى، ثم تبعتها بلبيس. وكانت الحامية البيزنطية قد تحصنت بحصن بابليون إزاء جزيرة الروضة على النيل، ورابط عمرو فى عين شمس حتى وصلته إمدادات كبيرة من الخليفة عمر، تقاتل الفريقان فى منتصف الطريق بين المعسكرين، فانهزمت الحامية البيزنطية واحتمت بقيتها بالحصن، ولمّا ضيّق عمرو على المقوقس الحصار اضطر إلى القبول بدفع الجزية. وتابع عمرو استيلاءه على المدن المصرية، ولم يبق إلا إسكندرية قصبة الديار المصرية. وثانية حواضر الإمبراطورية البيزنطية وقتها، وكان الأسطول البيزنطى يحميها من البحر، ولكن شدّة

الغارات البريّة، وموت هرقل وارتقاء ابنه قسطنطين الثاني عرش الإمبراطورية، وكان حديث السن، وموالسات المقوقس، جعلت الروم يوافقون على شروط الصلح، فجلت قواتهم وأسطولهم عن المدينة ودخلتها جيوش عمرو.

ولكن بعد مدة قصيرة من السيطرة على المدينة قام البيزنطيون بهجوم مضاد ليستعيدوا المدينة من جديد إلا أن عمرو بن العاص استطاع هزيمتهم ودخل إسكندرية مرة أخرى فى صيف سنة ٦٤٦م خاصة بعد انضمام الأسطول البيزنطى لعمرو بن العاص. وبذلك فقدت الإمبراطورية البيزنطية أغنى ولاياتها إلى الأبد. فقدت إسكندرية مكانتها السياسية بعد ذلك بسبب اتخاذ عمرو بن العاص من الفسطاط عاصمة بدلاً منها، لكنها استمرت الميناء الرئيسى لمصر وأبرز مرافئها التجارية.

تعرضت المدينة لعدة زلازل قوية عام ٩٥٦ ثم ١٣٠٣ ثم ١٣٢٣، أدت إلى تحطم منارتها

الشهيرةولم يبق منها سوى الأساس الحجرى الذى شيدت عليه قلعة قايتباى فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى. كما تعرضت إسكندرية لهجمات صليبية كان آخرها فى أكتوبر سنة ١٣٦٥م عانت فيها أعمال قتل دون تمييز بين مسلم وقبطى. وفى عام ١٤٨٠ قام السلطان المملوكى قايتباى ببناء حصن للمدينة لحمايتها فى نفس موقع المنارة والمعروف الآن "بقلعة قايتباى"، حيث حظيت إسكندرية فى عهده بعناية كبيرة، وقد هيأت دولة المماليك وسائل الراحة لإقامة التجار الأوروبيين فى ميناءى إسكندرية ودمياط فبنيت الفنادق ووضعت تحت تصرف التجار حتى يعيشوا وفق النمط الذى اعتادوه فى بلادهم.

فقدت إسكندرية الكثير من أهميتها بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فى عام ١٤٩٨م وتحوّل طريق التجارة إلى المحيط الأطلسى بدلاً من البحر المتوسط، وكذلك بعد جفاف فرع النيل والقناة التى كانت تمد المدينة بالمياه العذبة بسبب إهمال السلطات الحاكمة.

خضعت إسكندرية مع باقي مصر إلى الحكم العثماني بعد أن انتصر السلطان سليم الأول على المماليك في معركة الريدانية ودخل مصر غازيا عام ١٥١٧.

شهدت إسكندرية أحداثًا مهمة خلال القرن الثامن عشر تمثلت بالحملة الفرنسية ودخول الجنود الفرنساوية بقيادة بونابرت إسكندرية فى أوائل شهر يوليو عام ١٧٩٨ بدون مقاومة تذكر، واعتبرت الدولة العثمانية احتلال بونابرت لمصر اعتداءً عليها، ووقف الإنجليز والروس إلى جانب العثمانيين وعرضوا المساعدة على الباب العالى لإخراج الفرنسيين من مصر، وسرعان ما التحمت القوات البريطانية مع الفرنسية فى إسكندرية فى عام ١٨٠١م فى معركة أدت فى النهاية لخروج القوات الفرنسية من مصر، وعودة الجند العثمانى المرتزقة للبلاد.

في عهد محمد على باشا أعاد للمدينة الحياة بعدّة وسائل: ففي عام ١٨٢٠م تم الانتهاء من حفر قناة المحمودية لربط إسكندرية بنهر النيل مما كان له الفضل في إنعاش اقتصاد إسكندرية، وقد صمم الميناء الغربي كي يكون هو الميناء الرسمي لمصر وتم بناء منارة حديثة عند مدخله، كذلك فإن منطقة المنشية هي بالأساس من تصميم مهندسيه، كما شيد محمد على عند رأس التين مقره المفضل وأصبحت إسكندرية هي مقر قناصل الدول الغربية مما جعل لها شخصية أوروبية حيث جذبت العديد من الفرنسيين واليونان واليهود والشوام والمغاربة، بسبب الانتعاشة التي منيت بها المدينة، كما أنشأ دار الصناعة البحرية في المدينة والتي يطلق عليها حالياً "الترسانة البحرية"، لتلبية احتياجات الأسطول المصري.

أصبحت إسكندرية منذ تولى محمد على الحكم وخلال المائة وخمسين سنة التالية أهم ميناء في البحر المتوسط ومركزا مهما للتجارة الخارجية ومقرا لسكان

متعددى الأعراق واللغات والثقافات، وتحت حكم خلفاء محمد على استمرت إسكندرية فى النمو الاقتصادى، فشهدت فى عهد الخديو إسماعيل تحديداً اهتماماً يُشابه الاهتمام الذى أولاه لتخطيط مدينة القاهرة، فأنشأ بها الشوارع والأحياء الجديدة وتمت إنارة الأحياء والشوارع بغاز المصابيح بواسطة شركة أجنبية، وأنشئت بها جهة خاصة للاعتناء بتنظيم شوارعها وللقيام بأعمال النظافة والصحة والصيانة فيها، ووضعت شبكة للصرف الصحى وتصريف مياه الأمطار، وتم رصف الكثير من شوارع المدينة، وقامت إحدى الشركات الأوروبية بتوصيل المياه العذبة من منطقة المحمودية إلى المدينة وتوزيعها بواسطة "وابور مياه" إسكندرية، وأنشئت فى المدينة مبان ضخمة وعمارات سكنية فخمة فى عدد من الأحياء كمنطقة محطة الرمل وكورنيش بحرى.

وصف منارة إسكندرية

الثابت تاريخياً أن فنار إسكندرية التى كانت من عجائب الدنيا السبع، قد أُنشأت عام ٢٨٠ ق.م، في عصر "بطليموس الثانى"، وكان طولها البالغ مائةً وعشرين متراً، ويعتقد البعض أن الحجارة المستخدمة فى بناء قلعة قايتباى هى من أحجار الفنار المدمر، كما أن موقع القلعة هو ذاته موقع الفنار المنهار، وقد وصف "المسعودى"، فى عام ٩٤٤ م، الفنار وصفاً أميناً، وقدّر ارتفاعها بحوالى ٢٣٠ ذراعاً. وقد حدث زلزال ١٣٠٣ م فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فضرب شرق البحر المتوسط، ودمر حصون إسكندرية وأسوارها ومنارتها.

وقد وصف "المقريزى"، فى خططه، ما أصاب المدينة من دمار، وذكرَ أن الأمير "ركن الدين بيبر الجشنكير" قد عمَّر المنارة، أى رمَّمها، فى عام ٧٠٣ هـ. وبعد ذلك الزلزال المدمر بنصف قرن، زار "ابن

بطوطة" إسكندرية، فى رحلته الثانية، فى عام ١٣٥٠ م، وكتب يقول: »وقصدتُ المنارة، عند عودتى إلى بلاد المغرب، فوجدتها قد استولى عليها الخراب، بحيث لايمكن دخولها ولا الصعود إليها؛ وكان"الملك الناصر"، شرع فى بناء منارة بإزائها، فعاقه الموت عن إتمامها».

ويروى المؤرِّخ"ابن إياس"، أنه عندما زار السلطان» الأشرف قايتباى إسكندرية فى عام١٤٧٧م، أمر أن يُبنى مكان الفنار برج جديد، وهو ماعُرف فيما بعد ببرج قايتباى، ثم طابية قايتباى، التى لا تزال قائمةً، حتى اليوم. وكان الفنار يتألَّف من أربعة أقسام، الأوَّل عبارة عن قاعدة مربَّعة الشكل، يفتح فيها العديد من النوافذ، وبها حوالى ٣٠٠ غرفة، مجهَّزة لسكنى الفنيين القائمين على تشغيل المنار وأُسرهم. أما الطابق الثانى، فكان مُثمَّن الأضلاع، والثالث دائرياً، وأخيراً تأتى قمة الفنار، حيث يستقر الفانوس، مصدر الإضاءة فى المنارة، يعلوه تمثال لإيزيس ربة الفنار إيزيس فاريا.

ومن الطريف، أن اسم جزيرة "فاروس" أصبح عَلَماً على اصطلاح منارة، أو فنار، في اللغات الأوروبية، واشتُقَّت منه كلمة "فارولوجيا" للدلالة على علم الفنارات.

كيفية عمل الفنار؟

ولم يعرف أحد، يقيناً، كيف كانت تعمل المنارة، أو الفنار، وقد ظهرت بعض الاجتهادات، لم يستقر الخبراء وعلماء التاريخ على أي منها. وثمَّة وصفٌ لمرآة ضخمة، كأسرة للآشعة، في قمة الفنار، كانت تتيح رؤية السفن القادمة، قبل أن تتمكن العين المجرَّدة من رصدها.

وقد كتب الرحَّالة القديم "ابن جبير"، أنَّ ضوء الفنار كان يُرى من على بُعد ٧٠ ميلاً، في البحر. وهناك رواية تُفيد بأن مرآة الفنار، وكانت إحدى الإنجازات التقنية الفائقة في عصرها، قد سقطت وتحطَّمت في عام ٧٠٠ م، ولم تُستبدل بغيرها وفقد الفنار صفته الوظيفية منذ ذلك الوقت، وقبل أن يدمِّره الزلزال تماماً.

ويُقال إن الصعود إلى الفنار، والنزول منه، كان يتم عن طريق منحدر حلزونى أما الوقود، فكان يُرفعُ إلى مكان الفانوس، فى الطابق الأخير، بواسطة نظام هيدروليكى. وقد وصف فورستر طريقة أخرى لرفع الوقود (الخشب) إلى موقع الفانوس، فذكرَ أن صفّاً طويلاً من الحمير كان في حركة دائبة، لايتوقف ليلاً أو نهاراً، صعوداً ونزولاً، عبر المنحدر الحلزونى، تحمل الوقود الخشبى على ظهورها!.

وفى مُفتتح القرن العشرين، قدَّم الأثرى والمعماري الألماني "هرمان ثيرش" نموذجاً للفنار، في هيئة أقرب إلى نُصُب تذكارى، يرتفع كبرج فخم مكوَّن من ثلاثين طابقاً، ويحتوى على ٣٠٠ غرفة.

أبحاث حول الفنار

إن فريق الباحثين الأثريين، العاملين بموقع قايتباى، يسعون للحصول على كتل حجرية تنتمى لأنقاض الفنار القديم وهم يعرفون أن واجهته كانت تحمل لوحةً تذكارية، منحوتة بحروف يونانية ضخمة، فإذا وجدوا تلك اللوحة، أو جزءاً منها، تأكد للجميع

أن الكتل الحجرية الضخمة، الغارقة بالموقع، هى أنقاض الفنار.

إن بعض علماء التاريخ يشكك فى أن الفنار القديم هو مصدر هذه الكتل، ويعتقد أنها مجرَّد صخور كانت تُلقى إلى الماء، فى العصور الوسطى، كإجراء دفاعى لإغلاق الميناء أمام سفن الصليبيين الغزاة. ومع ذلك، فإن جان إيف إمبرور لايزال متمسِّكاً باعتقاده أن بين هذه الأنقاض الغارقة قطعاً من جسم الفنار، سقطت فى المياه عندما تحطَّم ذلك البرج الضخم، بفعل الزلزال. ولكى يؤكد هذه الاحتمالات، يحاول جان إيف أن يتتبَّع كل الدلائل والإشارات التاريخية حول حجم وهيئة ذلك المبنى الغامض، الذى ورد ذكره ووصفه فى كتابات عشرات من الكتَّاب الإغريق والرومان والعرب القدامى، الذين سجَّلوا أوصافاً عجيبةً له، ولكن كتاباتهم لاتشفى غليل إمبرور، لعموميتها وعدم دقتها، وأحياناً لتناقضها مع بعضها البعض.

تماثيل إسكندرية

وجعل – الذى بنى منارة إسكندرية – على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره، فمنها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك، وإذا علت فى الفلك فإصبعه مشيرة نحوها، فإذا انخفضت انخفضت يده سفلاً يدور معها حيث دارت، ومنها تمثال يشير بيده إلى البحر إذا صار العدو منه على نحو من ليلة، فإذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أوثلاثة، فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم، فيرمقونه بأبصارهم، ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتاً بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها، وصوته مطرب.

المسعودى / مروج الذهب / ج ١ / ص ٤١٦ - ٤١٧

الصنم الزجاجي

وعمل قفطويم مناراً لطيفاً من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعلى رأس المنار صورة صنم من زجاج كبيرة، وفي يده كالقوس، وكأنه يرمي به فإن نظره غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى يجيئه أهل المدينة. وكان ذلك الصنم يتوجه من ذات نفسه إلى مهب الرياح الأربع، وقيل إن هذا الصنم على حاله إلى اليوم وإن الناس تحاموا تلك المدينة على ما فيها من الكنوز والعجايب الظاهرة خوفاً من ذلك الصنم، فإذا وقعت عين إنسان عليه لا يزال نائماً حتى يهلك. وقد كان بعض الملوك عزم على قلعه بما أمكنه، فهلك في ذلك خلق كثير ولم يقدر عليه.

أخبار الزمان لمجهول / ص ١٥٧

أمر خديوي: سنة ١٨٥٢ ، في عهد عباس الأول ، إرادة لمدير الجيزة:

حيث إنه يوجد آثار قديمة في نقط مختلفة ببلدة سقارة التابعة لمديريتكم كان قد أعطيت رخصة حفر فيها قبل ثلاث سنين لأشخاص فرنسيين لاستكشاف هذه الآثار بشرط ألا ينقلوا منها شيئاً للخارج.. ولكن سمعنا أخيراً أن هؤلاء المرخص لهم كلما تصل أيديهم إلى آثار قديمة معدنية أو فخارية يخفونها وينقلونها للخارج سراً، وحيث إن نقل الآثار والمومياء للخارج أمر ممنوع جداً، فيجب بعد الآن الاهتمام بها، ومنع إخراجها كلما ظهرت. ولأجل منع الأهالى من انتهاز فرصة بيعها وإخفائها، يلزم أن تعينوا شخصاً مؤتمناً بواسطتكم.. وتقيموه فى محل الاستكشاف، ليراقب الحفر بدقة عظيمة، ويمنع تسرب الآثار المكتشفة للخارج، ويعتنى بجمعها وإرسالها إلى ديوان المدارس.. لتحفظ هناك وتبقى سليمة من التلف والضياع، حسب رغبتنا. ومن بعد إذا سمعت أو أخبرت أن أحداً من الأهالى والأجانب استحوذ على شيء من هذه الآثار.. تأكد أنى لا أنظر فى وجهك مرة ثانية، وسأصدر أمرى حالا بعزلك، وفصلك من المديرية. (مترجم عن التركية).

سنة ١٨٥٨ ، فى عهد سعيد ، أمر عال للداخلية منطوقه :

إنه قد عرض لدينا من موسيو ماريت عن بعض طلبات مختصة بأشغال عملية الأنتيقة مأموريته، ويريد إصدار أوامرنا عنها، ومن الجملة ما هو موضح بيانه بأعلا أمرنا عنه، واقتضت إرادتنا تأديته بمعرفة الداخلية، وأصدرنا أمرنا هذا إليكم لإجرى ذلك، والثلاثة أود أن يعطوا له فى المحل الذى تستنسبه الداخلية ببولاق. والموسيو وسالى تصرف له ماهيته من الميرى فى المدة المذكورة، وبمقتضاها يرفت كما اقتضته إرادتنا. (نص أصلى)

سنة ١٨٥٨ ، فى عهد سعيد ،أمر عال لمديرية قنا وإسنا ، منطوقه :

إن موسيو مارييت قد أنهى إلينا عن بعض أشياء تختص بعملية الأنتيقة مأموريته، ويريد إصدار أوامر عنها ، من ضمنها مادة العشش الكائنة على هيكل إدفو اللازم تخليتهم، وإن كان رأى مع موسى بك أنه يمكن استعواضهم على أربابهم بمبلغ أربعة آلاف، أو خمسة آلاف غرش، ثم لزوم قدر أربعين حماراً لأجل

أشغال الفحت، كذا يريد إعطا الريسا اللازمة على الأنفار الشغالة من كل مديرية، الذى يعين أسماءهم، ممكن يكون لهم دراية كافية بالمحلات الموافقة، ليكونوا مأنوطين بإدارة الفحت، باعتبار كل خمسين نفر واحد نفر ريس تقريباً، ويحسب لكل واحد منهم يومى أربعة أو خمسة قروش مدة أيام الشغل فقط، وحيث من وافق إرادتنا إجابت الموصى إليه فى طلباته هذه، فقد أصدرنا أمرنا لباقى المديريات فى خصوص الريسا المقتضى طلوعهم من مديرياتهم، وأصدرنا أمرنا هذا إليكم لأجل نهو مادة العشش، ومشترى الحمير، وإعطى الريسا المختصة بمديريتكم على الوجه المشروح، كما اقتضت إرادتنا. (نص أصلى)

سنة ١٨٦٣، فى عهد إسماعيل، إرادة لمصطفى الكريدلى باشا، محافظ مصر:

حيث إن ماريت بك عرض علينا لزوم تخصيص الشونة الموجودة أمام دار الأنتيقة خانة الكائنة ببولاق لوضع الآثار، لأن دار الأنتيقة خانة الحاضرة غير موافية للغرض، فبناء عليه وافق إرادتنا تخصيص وإعطاء الشونة المذكورة لوضع الأنتيقة، فيجب أن تبادروا بالإجرى بمقتضاه.

تحشية : الشونة الموصى إليها ليست شونة الميرى الكبيرة المعدة لوضع الغلال، بل هى العربخانة المخصصة من زمان لوضع العربات ومتعلقات مصلحة الانجرارية، لذلك وضحنا لكم بهذه التحشية. (مترجم عن التركية)

سنة ١٨٦٣ ، فى عهد إسماعيل ،

أمر عال لديوان المالية ، منطوقه :

قد عرض علينا الإنهى الوارد من مدير الآثار التاريخية.. بناء على أمرنا الشفاهى السابق إليه عن تنظيم الأنتيقة خانة تكون جاهزة للتفرج عليها وأن تعمل المصاريف اللازمة وتتقدم قايمتها، وأوضح بأنه أجرى العمل، ومن أول شهر نوفمبر صار فتحها، وكثير من المتفرجين يحضرون للتفرج عليها، ولكن المصاريف التى صرفت على ذلك تبلغ خمسة وخمسين ألف فرنك وأربعين فرنكاً وخمسة وخمسين سنتيم يرام صدور الأمر بصرفه، وبترجمة القوايم التى وردت مع الإنهى المذكور.. وحيث وافق إرادتنا صرف ذلك المبلغ إلى أربابه، بعد المراجعة وأخذ السندات اللازمة، فقد أصدرنا أمرنا إليكم، والقوايم المذكورة والجدول المحرر عنهم، وإفادة أمين الأنتيقة خانة، مرسولين لطرفكم معه عدد ٥٢ لإجرى

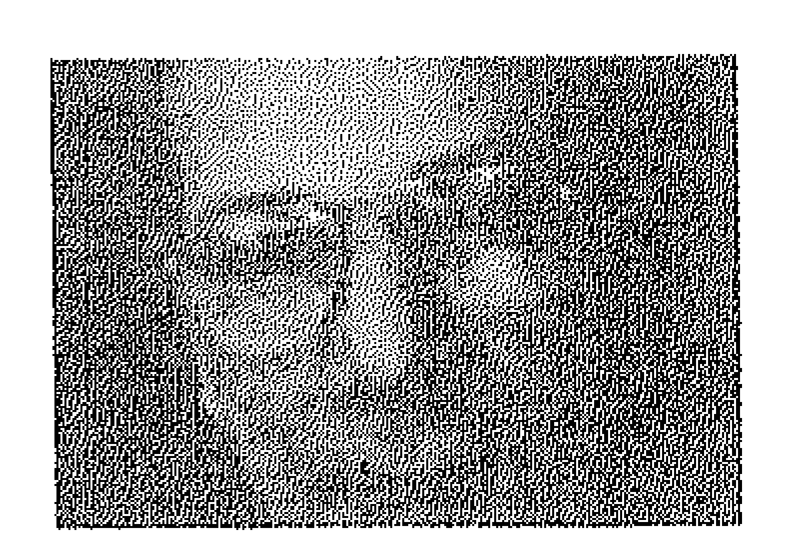
صرف المبلغ.. الذى توضح على وجه ما ذكر ويخصم بالأبعادية. (نص أصلى)

سنة ١٨٦٩ ، فى عهد إسماعيل، أمر كريم صادر للمالية منطوقه:

ماريت بك مدير الأنتقخانة أعرض لطرفنا بأن ولو أنه نتج من عملية الفحر على الآثار القديمة بمقتضى أوامرنا استكشاف جملة آثار تكون منبعاً لعلم التاريخ مدة طويلة، غير أنه لا يتم هذا المقصد إلا بنشرها وتعميمها، وحيث لا يكتفى الحال بجمع وتخزين هذه الأدوات والمهمات فقط. ويلزم للوصول لإتمام هذا المقصد، إعمال مؤلف يتركب من ستة مجلدات، فى الكامل، تحتوى ثلثماية صورة، ولأجل إعمال ماية نسخة من هذا المؤلف، يتكلف جميع ذلك ثمانين ألف فرنك كالبيان الموضح بأعلاه، وبما أن نشر وتعميم ذلك فيه منافع عمومية وخدمة مفتخرة لعلم التاريخ، قد وافق إرادتنا قبول ذلك وتأدية المبلغ المرقوم إلى البيك المومى إليه فى باريس بالإحالة على بيت مسيو براوية، بشرط يصرف له كل سنة ربع المبلغ فقط، حتى يتم على أربعة سنوات حسب إنهاه، ولاعتماد الإجرى على الوجه المشروح، أصدرنا أمرنا هذا إليكم. (نص أصلى) .

المحتويات

المؤلف



عبدالعزيز جمال الدين

- قام بتحقيق مؤلف الجبرتى «عجايب الآثار» الذى صدر فى طبعته الأولى عام ١٩٩٧ فى خمسة مجلدات عن مكتبة مدبولى وطبعته الثانية فى سبعة مجلدات عن الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ٢٠١٢ .

- وفى عام ١٩٩٧ صدر له تحقيق للمخطوط المهم «تاريخ البطاركة» الذى بدأ بتأليفه الكاتب المصرى ساويرس ابن المقفع بأمر من المعز لدين الله الفاطمى فى طبعة أولى من مكتبة مدبولى عام ٢٠٠٦ فى ستة مجلدات ، وطبعة ثانية من الهيئة العامة لقصور الثقافة فى عشرة مجلدات عام ٢٠١٢ .

- كما نشر مع د. عماد أبو غازى مخطوط «أخبار أهل القرن الثانى عشر» لإسماعيل ابن سعد الخشاب .

- وصدر له كتاب عن «المسيحية فى مصر» عام ٢٠٠٧ .

- كذلك حقق مخطوطاً باسم قصة أحمد باشا الجزار لمؤلفه الأمير أحمد حيدر الشهابى ، صدر فى عام ٢٠٠٨ .

- حقق مخطوط «واقعة السلطان الغورى مع السلطان سليم» لابن زنبل الرمال ، الصادر عن دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة عام ٢٠١٤ .

- يقوم حاليا بتحقيق كتاب هز القحوف بشرح قصيدة أبى شادوف للشيخ الشربينى .

كتاب الهلال القادم :

عتبات الشوق

من مشاهدات الرحالة المغاربة

فى الإسكندرية والقاهرة

شعيب حليفى

يصدر: ٥ فبراير ٢٠١٥

هذا الكتاب

عندما شاهدت الشعوب المحيطة بمصر وزائريها وحتى غاصبيها الإنجازات الفنية المعجزة للحضارة المصرية، إلى جانب إنجاز الثورة الزراعية والدولة الأولى فى التاريخ وابتداع اللغة والكتابة وتشييد الأهرامات والمعابد، لم يكن أمامهم إلا أن ينبهروا بها ويستعيروها، دون أن يدركوا أساس قيامها (العمل) والهدف الحقيقى منها (التعمير). ومن هنا جاء وصفهم لها فى عقائدهم دون تفسيرها واعتبروا إنجازاتها من أعمال السحر التى لا يمكن تفسيرها أو إدراكها. ولكن يجب أن ندرك جيداً الفارق بين الخيال الفنى والسحر (الوهم).

لقد نشأت هذه الأوهام فى ظل عصر كانت ثقافته ماتزال تدور حول الكشف عن حجر الفلاسفة وإكسير الحياة، وكانت الجغرافيا وقتها تسمى " عجايب البلدان ".

روايات الهلال تصدر ١٥ يناير ٢٠١٥

روايات الهلال

بيرومباد افام سري دهاران

مثل ترنيمة

قناع هندي لحياة دستويفسكي





ترجمة: محمد عيد إبراهيم

روايات مصرية للجيب

إنها بالفعل شيء ملائكي رائع



المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقي الفجالة ،
4 ش الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة - القاهرة - ت : 22586197 - 24677371 - 24677138
فاكس - 202/24677188 ج.م.ع ، 4 ش بدوي محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850